



مركز الدراسات الشرقية

ORIENTAL STUDIES CENTER

جامعة القاهرة

علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

تأليف

أ.د . محمد خليفة حسن

مدير مركز الدراسات الشرقية

سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات

العدد (٣) ٢٠٠٣

إهـــــــداء٢٠٠٧

الأستاذ الدكتور / قدري محمود حفني

جمهورية مصر العربية

علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

تأليف

أ.د. محمد خليفة حسن

مدير مركز الدراسات الشرقية

سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات

يصدرها مركز الدراسات الشرقية - جامعة القاهرة

تحت إشراف : أ.د / محمد خليفة حسن

تصدر هذه السلسلة تحت رعاية

أ.د نجيب الهلالى جوهر

رئيس جامعة القاهرة

ورئيس مجلس إدارة المركز

و

أ.د عبد الله التطاوى

نائب رئيس الجامعة

ونائب رئيس مجلس إدارة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسر مركز الدراسات الشرقية أن يقدم للقارئ الكريم هذه الدراسة عن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى فى محاولة لتحديد مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان ، وتحديد العلاقات التاريخية والدينية للإسلام بالأديان الأخرى ، وكذلك تحديد موقف الإسلام من هذه الأديان ، وتتعرض الدراسة فى البداية لنقد منهج علماء تاريخ الأديان والمستشرقين فى الغرب فى فهم الإسلام من خلال ربطه ربطًا تعسفيًا بالأديان السابقة عليه استناداً إلى قاعدة التأثير والتأثر مستدلين على ذلك ببعض وجوه التشابه بين الإسلام من ناحية والديانتين اليهودية والمسيحية من ناحية أخرى . وقد أدى هذا الربط التعسفى للإسلام باليهودية والمسيحية إلى القول بالتأثير اليهودى المسيحى ، والاعتقاد فى عدم استقلالية الإسلام كدين ، وإنكار الوحى القرآنى ، وإنكار التأثير الإسلامى فى اليهودية والمسيحية .

ويقدم هذا البحث الإسلام كبداية لتاريخ الأديان وكنهاية له . وبين البداية والنهاية يمر تاريخ الأديان بمتغيرات تؤدى إلى ظهور

أشكال من الفكر الدينى تقترب أو تبتعد عن مفهوم الإسلام بمعنى خضوع الإرادة الإنسانية واستسلامها للإله الواحد . وهذا القرب أو البعد هو الذى يحدد علاقة الإسلام بالأديان الأخرى حسب درجة استسلام الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية ، وأيضًا حسب طبيعة الإله المعبود فى كل دين من الأديان السابقة على الإسلام . وتعطى الدراسة أهمية لدين إبراهيم عليه السلام كدين اكتملت فيه تجربة الخضوع والاستسلام للإله الواحد فى ظل التوحيد وبعيداً عن أية تعقيدات دينية أو لاهوتية .

ويناقش البحث أيضًا مفهوم الهيمنة فى الإسلام على مستوى الإسلام والقرآن ويوضح معنى هيمنة الإسلام على الأديان وهيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة ، كما يعطى أدلة من التاريخ الدينى للبشرية تؤكد على هذه الهيمنة وتثبتها وبخاصة في مجال التأثير الإسلامى فى الأديان الأخرى ، وتفاعل هذه الأديان على اختلافها مع الإسلام . وقد أخذ هذا التفاعل شكل حركات دينية تصحيحية تظهر من داخل هذه الأديان مستجيبة فى صورة غير مباشرة ونتيجة لنقد ذاتى داخلى لمعطيات الإسلام وهدفه التصحيحى وتوجيهه التوحيدى .

وقد ثبت من خلال تاريخ الأديان أن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى علاقة عضوية جعلت الإسلام أكثر الأديان إيجابية فى علاقته بالأديان الأخرى ، فهو أكثرها اعترافًا بها وتسامحًا

تجاهها. وهو مصدق للصحيح فيها ، ومصحح لغير الصحيح فى عملية نقدية إيجابية بعيدة كل البعد عن التعصب الدينى ، وقائمة على أساس من التسامح الدينى ، والاعتراف بالتعددية الدينية ، وبالاختلاف الدينى الذى أقرته الآية القرآنية " لكم دينكم ولى دين" وتعبيراً عن عدم احتكار الحقيقة الدينية ، والرغبة فى تحقيق الخير لأهل الأديان بدون إكراه فى الدين .

وللتعبير عن الاستفادة من منهج تاريخ الأديان فى فهم الإسلام وكدليل على الانفتاح المنهجى قدمت هذه الدراسة وصفًا وتحليلاً للتجربة الدينية فى الإسلام وفقًا للمنهج فى علم تاريخ الأديان الذى يهتم بتحديد جوهر الدين ، والتعريف بطبيعة التجربة الدينية ، وبمراحلها ، وخصائصها . كما تهتم أيضًا بتحديد البنية الدينية . واعتماداً على القرآن الكريم ومصادر الدين الإسلامى تم تقديم تصور لجوهر الإسلام ، وطبيعة التجربة الدينية فى الإسلام ، وتقديم الإسلام والإيمان والإحسان كمراحل لهذه التجربة الدينية مع توضيح خصائص كل مرحلة ، وعلاقة هذه المراحل ببعضها البعض. كما تم تحديد خصائص التجربة الدينية فى الإسلام فى أنها تجربة عقلية اجتماعية أخلاقية دنيوية وأخروية . وتم تحديد البنية الدينية للإسلام فى أنها بنية إلهية توحيدية وعقيدية تشريعية وأخلاقية حضارية .

وقـد انتـهى البـحث إلى تـوضـيح فـضل الإسـلام على الأديان ومكانته فى تاريخ الأديان .

ونرجو أن يستفيد من هذا البحث المتخصصون فى علمى تاريخ الأديان ومـقـارنة الأديان ، وفى العـلاقـات الدينيـة بيـن الإسـلام والأديان الأخرى .

أ.د. محمد خليفة حسن

مدير مركز الدراسات الشرقية

جامعة القاهرة

أولاً : وضع الإسلام فى تاريخ الأديان

يقوم المنهج فى علم تاريخ الأديان على أساس أن الأديان فى الشرق والغرب أسرة كبيرة تنقسم إلى أسر صغيرة وترتبط كل أسرة فيها بمجموعة علاقات تاريخية دينية تربط كل دين فيها بالدين السابق عليه، وبالدين المعاصر له، وبالدين اللاحق به. وترتبط الفرق والمذاهب الدينية بأصولها داخل شجرة الأديان كفروع للأديان الكبرى. وهكذا ينتج عن صلة النسب هذه أن يصبح لكل دين نشأة وتطور، وعلاقات تاريخية ودينية هى موضوع الدراسة فى علم تاريخ الأديان. وهو من هذه الناحيةعلم تاريخى يرصد نشأة الأديان والفرق والمذاهب الدينية، ويتتبع حركتها فى التاريخ ويحدد تطورها وعلاقاتها التاريخية والدينية .

وتخطىء المصادر الاستشراقية حين تنسب للإسلام نشأة وتطوراً فالمستشرقون يربطون عادة الإسلام باليهودية والمسيحية. ويردونه إلى إحدى الديانتين على أساس التشابه الواضح بين معتقدات الإسلام و معتقدات اليهودية والمسيحية . والحقيقة أن الإسلام ليست له صلة تاريخية أو دينية باليهودية والمسيحية فى الزمان والمكان . والتشابه فى المعتقدات ليس نتيجة اتصال للإسلام بالديانتين السابقتين عليه بل هو نتيجة وحدة المصدر

والنزعة التصحيحية النقدية التى أولاها الإسلام كديانة توحيدية خالصة للديانتين التوحيديتين السابقتين عليه واللتين خرجتا على التوحيد الخالص من وجهة النظر القرآنية الإسلامية وقد انبرى المستشرقون قديماً وحديثاً للهجوم على الإسلام والحكم عليه بصلة تاريخية تربطه باليهودية والمسيحية زاعمين أن الإسلام نشأ عن مصادر يهودية ومسيحية ، وأن القرآن الكريم استمد معظم مادته من الكتب المقدسة عند اليهود والمسيحيين ، وأن الاسلام ما هو إلا هرطقة يهوديه أو مسيحية والإسلام عند المؤرخين والمستشرقين اليهود حفيد لليهودية وذلك باعتبار المسيحية بنتاً لها ، أو البنت الصغرى باعتبار المسيحيه هي البنت الكبرى لليهودية [١] إلى غير ذلك من التفسيرات التعصبية التى عبّرت عن رغبة يهودية ومسيحية قديمة فى احتواء الإسلام واستيعابه داخل التراث اليهودى والمسيحى، فيظل هكذا فرقة دينية حية تابعة لليهودية والمسيحية ، مثل مئات الفرق التى ظهرت فى تاريخ الديانتين والتى تم احتواؤها بشتى الوسائل العنيفة والسلمية. وقد مرت القرون ولم تتمكن الديانتان التوحيديتان السابقتان من احتواء الإسلام وتم طرد الإسلام من حظيرة التراث اليهودى والمسيحى ، وأصبحت الصلة التاريخية المزعومة شبهة عن الإسلام حين يراد تحديد علاقته باليهودية والمسيحية . ورغم مرور القرون لم يتمكن المستشرقون ومؤرخو الأديان فى الغرب

من اتخاذ موقف متسامح مع الإسلام . وأصبح الدين الطريد فى دراسة الأديان فى الغرب والتصقت به آلاف الشُّبه بينما درست بقية أديان العالم فى إطار علمى موضوعى ، وفى إطار من الحب والود والتسامح والاستعداد للاستفادة من التجارب الروحية والخبرات الدينية فيها ، رغم بعد المسافة الدينية بين الديانتين اليهودية والمسيحية من ناحية وديانات الشرق غير التوحيدية من ناحية آخرى . ومع قرب المسافة الدينية بينهما وبين الإسلام لا يوجد أدنى استعداد لدى المستشرقين ومؤرخى الأديان فى الغرب للتعامل مع الإسلام فى شكل يعتمد الموضوعية أولاً ويحقق الاستفادة الروحية منه ثانياً.

و الإسلام لا يتبع هذه القاعدة المنهجية التى وضعها مؤرخو الاديان فى الغر ب للتاريخ الدينى للبشرية . فقاعدة النشأة والتطور لا تنطبق على الإسلام .فالإسلام دين إلهى مصدره الوحى الإلهى الذى أنزل على الرسول ﷺ والذى قصدت العناية الإلهية ألا ينزل مجملا بل على فترات غطت حياة الرسول ﷺ منذ أن بعث فى الأربعين من عمره وحتى وفاته ﷺ فى الثالثة والستين من عمره ، فعمر الوحى هو عمر بعثة الرسول ﷺ ، وهو عمر الدين ظهورا واكتمالا بتمام الوحى الإلهى فى القرآن الكريم والذى عليه بنى الإسلام ، وليس للإسلام تاريخ سابق على نزول القرآن وليس له

تاريخ لاحق على تمام القرآن الكريم . وهذه الفترة التى لا تتجاوز ثلاثة وعشرين عاما لا تعطى نشأة ولا تطورا وبخاصة إذا ما قارنا وضع الإسلام بوضع بقية أديان العالم التى غطت نشأتها وتطورها عشرات القرون ، والتى لا تزال فى حالة تطور لأنها تخضع لمعطيات التاريخ ، وتقبل التغيير بصفتها البشرية الوضعية . ولم يحدث فى تاريخ الأديان الوضعية أن نشأ دين واكتمل فى عصر واضعه أو مؤسسه . فرؤية الواضع أو المؤسس تأتى بعدها عشرات الرؤى المفسرة لرؤية المؤسس والتى تقترب منها أو تبتعد حسب درجة الفهم والاستيعاب للرؤية الأصلية ، وحسب نوايا وأهداف المفسرين التاليين ، والتى تتسع أحيانا إلى حد الرغبة فى الخروج على الرؤية الأصلية ووضع رؤية جديدة مستقلة ينتهى بها الأمر إلى الاستقلال تماما فى شكل دين جديد معارض للدين الأصلى القديم.

الإسلام هو الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة فى تاريخ الأديان ، فقد ظهر ببداية الوحى واكتمل بنهاية الوحى . ولم يدخل عليه جديد بعد ذلك ، ولم تظهر رؤى تفسيرية تهدف إلى الخروج على مضمون الوحى الإلهى ، فظل القرآن الكريم هو الدستور الثابت للمسلمين ، ووضعت أصول الدين الإسلامى على أساس من مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنة النبوية وداخل عصر الرسول ﷺ وأثناء حياته.

ورغبة فى تعميم قاعدة النشأة والتطور وتبرما من أن يكون الإسلام استثناءً لهذه القاعدة ضيع المستشرقون ومؤرخو الأديان الكثير من الجهد فى إخضاع الإسلام للقاعدة فبحثوا للإسلام عن نشأة فردّوه قسرا إلى اليهودية والمسيحية ، ورده بعضهم إلى عوامل عربية داخلية تتناسب وأوضاع العرب قبل الإسلام ،ليحكموا عليه بالنشأة أولا ،وليجعلوه دينا خاصا بالعرب ونشأ تلبية لاحتياجات عربية خالصة ثانيا ، وذلك ليسدوا الباب أمام عالمية الإسلام .[٢] وبحثوا عن علل اقتصادية واجتماعية أدت إلى نشوء الدين الجديد ، ودفعته إلى الانطلاق إلى العالم فى شكل غزوات تهدف إلى تحقيق الجاه والسلطان السياسى والغنى الاقتصادى للعرب ، واعتبروا الفتوحات ما هى إلا موجة جديدة من موجات الهجرة من شبه الجزيرة العربية إلى مناطق الوديان المحيطة بها لحل مشاكل وأزمات اقتصادية واحتماعية للعرب[٣] ولم يسأل المستشرقون أنفسهم السؤال البسيط : كيف يمكن لهذه الأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية أن تستمر دعامة للإسلام وانتشاره دون أن تزول أو تسقط لمدة أربعة عشر قرنا من الزمان ؟ وكيف استمر الإسلام بعد أن سقطت عنه أسباب النشأة والتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بعد أن ظهرت فى العالم قوى منافسة للمسلمين على المستويات المذكورة بل تفوقت على المسلمين فى هذه المجالات لعدد كبير من القرون دون أن

يزول الإسلام ؟ لم يسأل مؤرخو الأديان والمستشرقون: ما أسباب استمرارية الإسلام وقوته المتجددة رغم ضياع السيادة السياسية والعسكرية والاقتصادية ؟ هذه الأسئلة المطروحة دفعتنا إليها اللاموضوعية التى التزم بها المستشرقون ومؤرخو الأديان فى دراستهم للإسلام وتحليلهم لظهوره . وقد ضرب المستشرقون الأمثلة على تطور الإسلام فى التاريخ بالفرق والمذاهب الكثيرة التى ظهرت فى تاريخ المسلمين . كما دلّلوا على تاريخ الإسلام بل وجغرافيته أيضا بالحديث عن إسلام سنى ، وإسلام شيعى ، وإسْلام صوفى ، وإسلام اعتزالى، وإسلام بهائى ، وإسْلام قديانى ، وإسلام قديم ، وإسلام وسيط ، وإسلام حديث ، وإسلام معاصر . بل ربطوا الإسلام بالجغرافيا والأقاليم فقالوا بإسلام مصرى ، وإسلام هندى ، وإسلام سعودى ، وإسلام أفريقى ، وإسلام إيرانى ، إلى غير ذلك من البلدان ، وقالوا بأن هناك إسلاما رسميا ، وإسلاما شعبيا إلى آخر تلك التقسيمات التى أولع بها المستشرقون ومؤرخو الأديان لإخضاع الإسلام لقاعدة النشوء والتطور فى التاريخ .

والحقيقة المعروفة للمسلمين - والتى لا يريد أن يقرّ بها المستشرقون ومؤرخو الأديان فى الغرب - أن الإسلام واحد لا يعرف التجزئة أو التفرقة ، وهو أقل الأديان فى تاريخ الأديان فرقا ، ويشهد تاريخ الأديان نفسه أن الفرق التى ظهرت فى تاريخ

المسلمين ظهرت لأسباب سياسية واجتماعية فى المقام الأول ولهذا فقد اختفت هذه الفرق بزوال الأسباب التى أدت إلى نشأتها . لقد كانت هناك ثلاث وسبعون فرقة لم يتبق منها إلا فرقة واحدة هى التشيع .

أما قسمة الإسلام إلى إسلام كلاسيكى قديم وإسلام وسيط وإسلام حديث كما فعل المستشرق اليهودى ڤون جرونباوم فى كتاباته المعروفة التى استخدمت هذه التقسيمات (٤) فهى قسمة لا تتبع أى عامل تاريخى إسلامى فى التصنيف فالإسلام كدين ليس له تاريخ ، ولا يوجد إسلام قديم ووسيط وحديث ، فالمستشرق هنا واقع تحت تأثير نظرية النشأة والتطور فى الأديان من ناحية ، وتحت تأثير فلسفة التاريخ الأوربى وتصنيفه إلى عصر كلاسيكى ، وعصر وسيط وعصر حديث ، وهو تقسيم أسقطه مؤرخو الأديان على تاريخ الأديان فقسموا مثلا المسيحية الى مسيحية قديمة ووسطى وحديثة ، وكذلك فعلوا باليهودية ، وبكل أديان العالم. صحيح إن الأديان لأنها تاريخية فهى تقبل هذا التقسيم ولكن لا يجب فرض هذا التقسيم فرضا تعسفيا على تاريخ الأديان، فتاريخ الأديان يختلف عن تاريخ الشعوب ، وهو تقسيم لا يصلح أيضا لتاريخ الشعوب ، فقد افترض مؤرخو الغرب أن ما يصلح للغرب يصلح للشرق فتواريخ الشعوب الشرقية لا يجب أن تخضع للتقسيم المتبع فى تاريخ أوربا . وإذا أخذنا مثلا بتاريخ

المسلمين نجد أنه من الصعب تقسيمه إلى قديم ووسيط وحديث موازاة للتاريخ الأوربى. فقديم التاريخ الأوربى سابق على ظهور الإسلام بعشرات القرون، ووسيط التاريخ الأوربى هو قديم الإسلام، وحديث التاريخ الأوربى هو أيضا يقابل مرحلة وسط فى تاريخ المسلمين ، والتاريخ الإسلامى الحديث لا يتناسب مع التاريخ الأوربى الحديث . هذا عن التاريخ الإسلامى ، أما عن الإسلام نفسه فهو لا يقبل القسمة إلى قديم ووسيط وحديث لأن الإسلام لم يتغير ، وعقائد المسلمين المتأخرين هى نفس عقائد المسلمين المتقدمين ، ولم يخضع الإسلام لقاعدة التطور التى خضعت لها اليهودية والمسيحية فاستحقتا القسمة إلى يهودية ومسيحية قديمة ووسيطة وحديثة ، والإسلام أيضا لا يربط بأقاليم جغرافية أو ببلاد كما فعل المستشرقون حين تحدثوا فى كتاباتهم عن إسلام سعودي وهندى وإيرانى ومصرى وتركى وإفريقى . . . . فالإسلام واحد فى كل البلاد التى انتشر فيها ، ولا اختلاف فى هذه الأماكن حول العقيدة والتوحيد والوحي والنبوة ، أو حول بقية المعتقدات الإسلامية ، وكذلك الأمر بالنسبة للحديث عن إسلام رسمى وإسلام شعبى ، فالإسلام هو الإسلام ، وهو دين الجميع بدون قسمة إلى إسلام الخاصة أو إسلام العامة أو إسلام رسمى وإسلام شعبى ، فالخاصة والعامة والرسميون والشعبيون كلهم يؤمنون بإله واحد وبكتاب واحد ، ويعتقدون فى نفس التوحيد ولا يفرق بينهم فى الإيمان شىء .

إن هذه المسميات المختلفة للإسلام إنما هى من أوهام المستشرقين ومن نتائج التهافت المنهجى لدى مؤرخى الأديان فى الغرب الذين يضعون النظريات الدينية ويقعون فى خطأ التعميم فضلا عن الخضوع المنهجى لمعطيات التاريخ الأوربى ومراحله ، ومعطيات الديانتين اليهودية والمسيحية ، وإسقاط هذا كله على الإسلام .

ثانيا : الإسلام بداية تاريخ الأديان ونهايته

بالإضافة إلى حقيقة أن الإسلام ليس له تاريخ حسب الفهم المنهجى لعلم تاريخ الأديان فى الغرب فإن الإسلام يحتوى تاريخ الأديان كله فالإسلام يمثل بداية تاريخ الأديان ونهايته ، ولا يتناقض هذا الرأى مع حقيقة أن الإسلام كدين لا يخضع للعوامل التاريخية .

الإسلام يحتوى تاريخ الأديان لأنه أقدم الأديان وأحدثها وآخرها فى نفس الوقت . وليس فى هذا إخضاع الإسلام للتاريخ إنما إخضاع التاريخ للإسلام . فالنظرية الإسلامية تقول بأن التوحيد هو الأصل فى التدين ، وأن البشرية عرفت الإله الواحد الخالق منذ بدايتها ، ولذلك فآدم عليه السلام هو أول البشرية ، وأول الأنبياء، وأول المسلمين . وفى تاريخ الأنبياء عند المسلمين يعتبر جميع الأنبياء والرسل مسلمين ، ويعتبر أتباعهم مسلمين .

وقد تكررت الآيات القرآنية التى وصفت الأنبياء والرسل وأتباعهم بصفة الإسلام ، وفى هذا يقول القرآن الكريم : ﴿ . . . مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ . . . . ﴾ {الحج ٧٨ } . وكذلك قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . . ﴾ { ال عمران ٦٧ } . وكذلك

قوله تعالى﴿ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ { البقرة ١٣٣ } . وأيضا ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾ { المائدة ١١١} .وكذلك قوله تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ { آل عمران ١٩ } (٥) .

فهناك وحدة دينية للبشرية منذ بدايتها وحتى نهايتها ، فدعوات الأنبياء والرسل واحدة ومضمونها واحد ، وهو إعلان خضوع الإنسان وإرادته واستسلامه للإله الواحد . وجوهر الدين منذ بداية الخليقة هو إعلان طاعة الإنسان للإرادة الإلهية ، أما وجود الوثنية والتعدد والشرك فكل هذا يمثل خروجا على التوحيد فى التاريخ الدينى للبشرية . ويمكن أن نمثل للتوحيد فى التاريخ بخط مستقيم يبدأ من آدم عليه السلام أول الموحدين والمسلمين وينتهى مع نهاية التاريخ . ونمثل للشرك والوثنية والتعدد بخط معوج يبدأ من بعد التوحيد ويستمر إلى جانبه حتى نهاية التاريخ . والظهور المتكرر للأنبياء والرسل عليهم السلام فى التاريخ الدينى للبشرية هدفه إعادة البشرية المنحرفة على التوحيد إلى خط التوحيد ، وتصحيح الأوضاع الدينية للبشرية ، والقضاء على الوثنية والتعدد والشرك ، وتجديد إعلان استسلام وخضوع إرادة الإنسان لإرادة الله الخالق . وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإسلام كفكرة ومعتقده يبدأ مع بداية البشرية ، وتاريخ الأنبياء والرسل

عليهم السلام هو تاريخ الإسلام كفكرة دينية وعقيدة قبل ظهور الإسلام فى التاريخ [٦] وظهور الإسلام فى التاريخ هو تتويج لهذا التاريخ السابق للإسلام منذ بدايةالبشرية ، فبظهور الإسلام فى التاريخ كمل الدين وانتهى تاريخ الأديان . وفى القرآن الكريم نقرأ ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾ { المائدة ٥٣} ، فظهور الإسلام إعلان لكمال الدين وليس إعلانا لظهور دين جديد ، فالإسلام ليس دينا جديدا ، إنما هو التصحيح النهائى للدين توحيديا أو غير توحيدى ، والكمال للدين التوحيدى وإعلانا لنهاية تاريخ الأديان ، والإسلام يمثل نهاية تاريخ الأديان فهو خاتم الأديان ، وبه تحقق الكمال الدينى ، ولذلك فعنده يتوقف تاريخ الأديان إذ لا كمال بعد ذلك . والإسلام خاتم الرسالات الإلهية فلا رسالة بعد رسالة الإسلام ، والنبى عليه الصلاة والسلام خاتم الرسل عليهم السلام إذ لا نبوة بعده ﷺ ، ولا رسالة بعد رسالته ﷺ ويجمع الإسلام بهذا بين صفتين أساسيتين فهو أول الأديان وآخرها ، والحقيقة أن كلمة أول الأديان قد توحى بتعدد الأديان وأن الإسلام واحد منها ، وأنه أتى فى أولها وآخرها. ولكن فى الحقيقة الإسلام لا يعترف بتعدد الأديان كمفهوم ، وإن قبله كواقع دينى للبشرية . فالدين الإلهى واحد لا يتعدد والتعدد الملحوظ فى التاريخ الدينى الواقعى للبشرية ليس مصدره إلهيا ، إنما التعدد يعود إلى وضع البشر ، ولذلك صدقت التسمية

الإسلامية لهذه الأديان المتعددة بأنها أديان « وضعية » أى من وضع البشر وابتداعهم . أما الدين الإلهى فهو واحد وهو الإسلام ، وفى القرآن الكريم نقرأ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ﴾ { آل عمران ١٩ }.

ويشهد تاريخ الأديان على صحة هذه المعطيات الإسلامية فى التاريخ . فمن ناحية أن الإسلام هو كمال التوحيد فهذا مشهود به فى تاريخ الأديان حيث يصف بعض مؤرخى الأديان المعتدلين التوحيد فى الإسلام بأنه التوحيد الخالص، ويوصف أيضا بأنه التوحيد الشديد وهدفهم من ذلك تمييز التوحيد فى الإسلام عنه فى اليهودية والمسيحية وغيرهما من الأديان.(٧) والحقيقة أن التوحيد تعرّض على يد اليهودية والمسيحية لتغيرات وتفسيرات عدة خرجت به على أصوله ، ولم يبق إلا الإسلام كمعبر حقيقى عن التوحيد الحقيقى الكامل ، فاليهودية فى احتكارها للتوحيد قبلت التعدد ، فهى عندما خصصت الإله الواحد لبنى إسرائيل قالت بالتعدد وسمحت به لغير بنى إسرائيل ، وعندما أطلق على الإله الواحد« اسم إله اسرائيل » اعترف بآلهة أخرى للأمم الأخرى ، فهذا تخصيص للتوحيد واعتراف ضمنى بالتعدد ، وقد جاء فى القرآن الكريم على لسان بنى إسرائيل :﴿ فلما جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا

لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ {الأعراف ١٣٨ - ١٤٠} . وقد تحول الإله الواحد على يد بنى إسرائيل إلى إله قومى خاص بهم ، ولم يسمحوا لغيرهم بعبادته ، فوقعوا فى الاعتراف بالتعدد حتى لا يشركوا معهم غيرهم فى عبادة الإله الواحد . أما المسيحية فقد غيرت التوحيد تغييرا جذريا فيما يعرف بعقيدة التثليث التى تقر بثلاثة عناصر أو أقانيم فى الألوهية ، وهى أقانيم الإله.الرب ، والإله الإبن ، والإله الروح القدس ، وقد نقد القرآن الكريم هذا التفسير للتوحيد فى المسيحية فى قوله تعالى ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ { المائدة ٧٣ }. وكذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ { النساء ١٧١ } . وقد أضافت المسيحية بعدا خاصا لتاريخ الأديان ، فتاريخ الأديان قبل عيسى عليه السلام هو تاريخ الخطيئة وآدم عليه السلام الذى هو أول الخلق وأول المسلمين فى الإسلام هو أول المخطئين فى

المسيحية، وهذه الخطيئة الأولى توارثتها ذريته من بعده إلى أن أتى عيسى عليه السلام فخلص بصلبه البشرية من خطيئتها الموروثة من آدم عليه السلام ، وبهذا المفهوم لا يصبح التاريخ السابق على المسيحية تاريخ توحيد ونبوات منذ آدم عليه السلام وحتى عيسى عليه السلام إنما هو تاريخ الخطيئة ، ولا نعلم كيف توفق المسيحية بين كون الأنبياء عليهم السلام معصومين من الخطأ وبين اعتبار البشرية بكاملها مخطئة بالفطرة وبالوراثة عن الخطيئة الأولى . ،على كل حال فهذا الفهم الخاص للتوحيد في اليهودية والمسيحية أجبر مؤرخي الأديان على الاعتراف بأن الإسلام هو دين التوحيد المطلق الصريح الخالص الشديد .

وبالنسبة لكون الإسلام آخر الأديان والرسالات فتاريخ الأديان يشهد على ذلك شهادة واضحة ، فمنذ ظهور الإسلام في التاريخ لم يظهر دين جديد . وقد مرت على البشرية أربعة عشر قرنا من الزمان دون ظهور أي دين . لقد ظهرت بعض الفرق والمذاهب الدينية الصغيرة والكبيرة ، وجميعها لا تمثل دينا جديدا ، ولكنها تتبع إحدى الديانات القديمة السابقة على الإسلام . فالمذهب البروتستانتي في المسيحية رغم استمراره داخل المسيحية فهو رؤية إصلاحية للمسيحية الكاثوليكية ، والتطورات التي أصابت اليهودية والبوذية وديانات الصين واليابان وما نتج عنها من فرق

دينية مختلفة كلها مرتبطة بالديانات الأصلية باعتبارها إصلاحا لها . ولم يشهد تاريخ الأديان ظهور دين جديد بعد الإسلام ، بل إن بعض الفرق الدينية التى ظهرت كفرق إصلاحية داخل الأديان الكبرى لا تخلو من تأثير إسلامى ، وهى فى كثير من تصوراتها نتيجة من نتاج الإتصال بين الإسلام والأديان الأخرى الكبرى ، والأخذ مباشرة أو بطريق غير مباشر بالنقد الإسلامى لهذه الأديان ، ويبدو هذا التأثير واضحا فى بعض الحركات أو الفرق فى شبه القارة الهندية ، كما يبدو أيضا فى بعض الفرق اليهودية مثل فرقة القرائين ، وفرقة السامريين الذين أدى اتصالهم بالإسلام والمسلمين إلى تطوير نقد لليهودية الأرثوذكسية المسماة بالحاخامية Rabbinic Judaism وتكوين رؤية دينية مختلفة لليهود تعكس تأثيرا إسلاميا واضحا ، بل إن التأثير الإسلامى تجاوز الفرق اليهودية إلى اليهودية الأرثوذكسية حيث استجابت بطريق غير مباشر للنقد الإسلامى واستعان علماؤها فى العصر الوسيط بالإسلام فى إعادة بناء اليهودية كدين له نظام وأركان إيمان واضحة مثلما فعل سعديا الفيومى ، وموسى بن ميمون .

وفى هذا الخصوص أيضا يبدو التأثير الإسلامى غير المعترف به فى المذهب المسيحى البروتستانى حيث تعكس معظم بنود الإصلاح البروتستانى رؤية إسلامية واعتراضات وجّهها الإسلام للمسيحية الكاثوليكية والأرثوذوكسية (٨) .

من هذا يتضح أن الإسلام ليس فقط آخر الأديان ولكن يبدو كذلك تأثيره المباشر وغير المباشر على حركة الأديان الأخرى وتطورها فى التاريخ . وهذه الحقيقة التاريخية الخاصة بكون الإسلام آخر الأديان سببت حرجا كبيرا لمؤرخى الأديان فى الغرب ووضعتهم فى مأزق منهجى ، ففى الدراسات الخاصة بتاريخ الأديان احتار معظم مؤرخى الأديان بشأن ترتيب الإسلام فى تاريخ الأديان فالواقع التاريخى يحتم وضع الإسلام فى آخر هذا الترتيب لأنه آخر الأديان . وتجنبا لما ينشأ عن هذا الترتيب الطبيعى للإسلام بين الأديان من احتمالات فهم أن الإسلام بذلك يكون أكمل الأديان أو أرقى الأديان إذا وضعنا فى الاعتبار نظرية التطور الدينى حسب فهم الغرب قبل مؤرخ الأديان أن يقع فى الخطأ المنهجى على أن يضع الإسلام فى ترتيبه الصحيح كآخر الأديان ، ويغلب ذلك على مؤرخى الأديان ذوى الخلفية اليهودية والمسيحية الذين يميلون دائما إلى وضع اليهودية والمسيحية فى نهاية ترتيب الأديان وهم بهذا يقعون فى خطأ منهجى واضح وهو أن تاريخ الأديان علم تاريخى يهتم بنشأة الأديان وتطورها وبالتالى فهو يهتم بالترتيب التاريخى الدال على قدم الأديان أو حداثتها ، والدال أيضا على العلاقات التاريخية والدينية بينهما ، وتاريخيا لا مفر من الناحية المنهجية من وضع الإسلام فى آخر الأديان ، وواضح أن الترتيب التاريخى للأديان هدفه الانتصار للمسيحية أو

لليهودية على حساب الإسلام باعتبار أن آخر الأديان يمثل الكمال الروحي ونهاية التطور الديني ، ويمثل أيضا أرقى الأديان . وقد وقع في هذا الخطأ المنهجي بعض كبار مؤرخي الأديان مثل هانز يواكيم شويبس - الذي وضع الإسلام بين اليهودية والمسيحية لكي ينهي كتابه « أديان البشرية » بالمسيحية. وهو متأثر بالنظرية التطورية كما يتضح من العنوان الفرعي لكتابه . « أصلها وتطورها » (٩) .

ويبتدع بارندر ترتيبا تاريخيا غريبا ، فتحت عنوان التوحيد النبوي في القسم الثاني من كتابه « ماذا تُعَلِّم أديان العالم » يضع الإسلام قبل اليهودية والمسيحية ويختم بالمسيحية . وهو بهذا يعكس الترتيب التاريخي حتى لا يأتي الإسلام في نهاية عمله(١٠) ، أما ن. سمارت فيتحايل على الموقف بقسمة تاريخ المسيحية إلى قسمين : يضع قسما منه قبل الإسلام وقسما آخر بعد الإسلام حتى تأتي المسيحية في نهاية تاريخ الأديان (١١) .

ويرتبط بكون الإسلام آخر الأديان وصف نبوة الرسول علية الصلاة والسلام بأنها آخر النبوات ورسالته بأنها آخر الرسالات السماوية ، ووصفه ﷺ بأنه آخر الأنبياء وخاتم الأنبياء والرسل عليهم السلام . ويشهد تاريخ الأديان على صحة هذه المفاهيم عند المسلمين إذ لم يشهد تاريخ الأديان ظهور أي نبي أو رسول بعد محمد ﷺ ، صحيح أن اليهود توقفوا بالنبوة عند أنبياء العهد

القديم ولم يعترفوا بنبوة عيسى عليه السلام بل لم يعترفوا بالنبوة خارج إسرائيل ، وصحيح أن المسيحية وقفت بالنبوة عند عيسى عليه السلام ثم تم تأليهه بعد ذلك، وصحيح أيضا أن الديانتين معا لم تعترفا بمحمد ﷺ ولكن هذه المواقف المتعارضة من زمن نهاية النبوة احتواها الإسلام بكونه آخر الأديان فى التزام بطريق وسط بين الرأيين المتعارضين لليهودية والمسيحية . فالإسلام اعترف بكل الأنبياء والرسل السابقين ، واعتبرهم مسلمين ، لا إسرائيلين ولا مسيحيين ، انطلاقا من طبيعة أعمالهم المستندة إلى مبدأ التوحيد ، واستسلام الإرادة الإنسانية إلى الإرادة الإلهية، وللطاعة كجوهر للدين فى عبادة التوحيد . وبالنسبة إلى عيسى عليه السلام فقد وقف الإسلام موقفا وسط بين الديانتين فاعترف الإسلام بنبوته عليه السلام ، ورفض الألوهية ، أما بالنسبة إلى محمد ﷺ فهو آخر الأنبياء والرسل انطلاقا من أن رسالته أخر الرسالات الإلهية ، ومن كون الإسلام آخر الأديان، وبصرف النظر عن الرفض اليهودى أو المسيحى لنبوته ، وهو رفض وارد فى تاريخ الأديان لأن التعصب الدينى عادة يمنع أصحاب الدين السابق من الاعتراف بالدين اللاحق ، وهى ظاهرة تعوّدنا عليها داخل تاريخ الأديان وداخل الديانات التوحيدية . وظاهرة الرفض تعود إلى أسباب كثيرة ليس هنا مجال مناقشتها ، ولكن نشير فقط إلى تكرارها فى تاريخ الأديان . ويقف الإسلام موقفا معتدلا من ظاهرة

الرفض التقليدية هذه ، فداخل دائرة الديانات التوحيدية يعتبر الإسلام استثناء لهذه الظاهرة ، فهو الدين الوحيد داخل المجموعة التوحيدية الذى اعترف بالتراث النبوى السابق عليه واعترف بالديانتين السابقتين مع توجيه النقد اللازم بهدف التصحيح وليس بهدف الرفض . بل إن الإسلام أحدث التوازن بين المسيحية واليهودية . ولم يكن هذا تلفيقا كما يدعى مؤرخو الأديان فى الغرب لأن التوازن الذى حققه الإسلام بين الديانتين لم يتم عن طريق تبنى إحدى الديانتين أو الخلط بينها ، لأن هناك معتقدات دينية لا يمكن جمعها أو الخلط بينهما لشدة تعارضها بين اليهودية والمسيحية . وما فعله الإسلام هو فى الحقيقة أنه تجاوز الديانتين فى التاريخ وعاد إلى شكل للتوحيد فى التاريخ يتصف بالنقاء والبساطة والفطرة ، وهذا الشكل هو الذى ورد عليه دين إبراهيم عليه السلام الموصوف بدين الفطرة ، ودين العقل ، ودين الطاعة فى أسمى صورها ، ودين الخليقة ، ودين الإسلام ، والقرآن يصف دين إبراهيم عليه السلام بقوله : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ . . . ﴾ { آل عمران ٦٧ }

ويمكن العودة بهذا الشكل الدينى للتوحيد إلى آدم عليه السلام بكونه أول المسلمين ، ولكن اختيار دين إبراهيم عليه السلام كنقطة فاصلة فى تاريخ التوحيد تعود إلى أنه يمثل أولا الخلفية

الدينية السليمة التى بنيت على أساسها فيما بعد ديانة بنى إسرائيل قبل نزول التوراة على موسى عليه السلام بعد عصر إبراهيم عليه السلام بخمسة قرون تقريبا ، وإلى إبراهيم عليه السلام يعود كل المسلمين المؤمنين بصرف النظر عن مسمياتهم التى أخذوها فى التاريخ ممثلة فى اليهودية والمسيحية والإسلام . والقرآن الكريم ينسب إلى إبراهيم عليه السلام أنه أول من سمى المسلمين مسلمين : ﴿ . . مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ . . ﴾ { الحج ٧٨ } ويؤكد الحديث النبوى على وحدة الدين:« كل إنسان يخلق على الفطرة » ويشير الطبرى فى تفسيره إلى وحدة الدين ممثلة فى دين إبراهيم عليه السلام [١٢] بقوله : إن دين الله واحد وهو دين إبراهيم الحنيفية المسلمة ففرق ذلك اليهود والنصارى فتهود قوم وتنصر آخرون فجعله شيعا متفرقا وقد فرق الأحزاب دين الله الذى أبقاه لعباده فتهود بعض وتنصر آخرون ومجّس بعض وذلك هو التفريق » [١٣] وفى مكان آخر يقول الطبرى «لأن دينه الذى بعثه به الله هو دين الإسلام دين إبراهيم الحنيفية . . . . فكان من فارق دينه الذى بعثه به ﷺ من مشرك ووثنى ويهودى ونصرانى ويتحنف مبتدع قد ابتدع فى الدين ما ضل به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم فهو برىء من محمد * ومحمد منه برئ » [١٤] .

وفى دين إبراهيم عليه السلام برزت الطاعة كجوهر للدين ، وتعبير عن معنى ودلالة كلمة مسلم وإسلام بمعنى المطيع لله سبحانه وتعالى ، والمُسَلمٌ إرادته لإرادة الله سبحانه وتعالى . وفى دين إبراهيم عليه السلام تم إعطاء نموذج إلهى عملى لتطبيق مبدأ الطاعة كجوهر للإسلام وذلك من خلال الأمر الإلهى لإبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام وتلبية إبراهيم وابنه إسماعيل الأمر الإلهى ، وطاعتهما المطلقة للإرادة الإلهية واستسلامهما الإيمانى لها . بالإضافة إلى هذا فإن دين إبراهيم عليه السلام تم فيه من خلال تجربة إبراهيم عليه السلام أول أمر عقلى لكيفية الوصول إلى حقيقة الإله الواحد ، وتم الجمع فى نبوته بين طريق الوحى وطريق العقل فى الوصول إلى حقيقة الألوهية : ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّى فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّى هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى بَرِىءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ { الأنعام ٧٥-٧٨ }. وقد أعطت هذه الآيات القرآنية دليلا على التحول من الفكرالدينى الطبيعى السائد فى العالم القديم الى الفكر الدينى الميتافيزيقى الذى يتعالى بالألوهية ، وينزهها عن الخلق والطبيعة باعتبارها خالقة لهما ، وبالتالى فهى فى ذاتها تختلف عنهما ، وتفصل الذات الخالقة عن الأشياء المخلوقة . ويتجلى هذا التحول فى الفكر الدينى فى الأية

القرآنية وعلى لسان ابراهيم عليه السلام « ... إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » . (الأنعام ٧٩) . وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المبدأ فى صورة مباشرة فى قوله تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (الشورى ١١).

كل هذه العناصر التى تكاملت فى دين إبراهيم عليه السلام أدت الى أن الإسلام فى التاريخ لم يربط نفسه باليهودية والمسيحية بل تجاوز الديانتين الى دين ابراهيم عليه السلام دين الفطرة . وفى هذا يقول الطبرى في تفسيره : « لأن دينه الذى بعثه الله به هو الإسلام دين ابراهيم الحنيفية كما قال له ربه وأمره أن يقول : « قل إننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين » [١٥] . ودين إبراهيم عليه السلام هو دين الحنيفية والعقل دين الإسلام ولهذا يتخذه الإسلام نموذجا للعودة إليه ، وترك اليهودية والمسيحية بتعقيداتها اللاهوتية والتغيرات التى أجرياها على عقيدة التوحيد ، وما نشأ عن ذلك من تفكير دينى خرج على التوحيد الأصلى فى دين إبرهيم عليه السلام . ولهذا لم يكن الإسلام ملفقا لعقائد يهودية ومسيحية، ويؤكد عدم التلفيق أيضا النقد الشديد الذى وجهه الإسلام لليهودية والمسيحية . ولا يوجد دين تلفيقى يعمد إلى نقد مصادره التى يلفق منها . ويحكم عليها بعدم الصحة . ثم يبنى على أساسها معتقده الجديد .

ثالثا : تاريخ الأديان ومفهوم الهيمنة فى الإسلام

يأتى مفهوم الهيمنة فى الإسلام لكى يعبر تعبيرا إسلاميا واضحا ومباشرا عن وضع الإسلام فى تاريخ الأديان من وجهة النظر الإسلامية . ويجب أن ننوه إلى أن مفهوم «الهيمنة» من المفاهيم التى لم تلق معالجة إسلامية كاملة فقد ندرت الدراسات الإسلامية لهذا المفهوم ، كما أنه مفهوم مرفوض ومهمل فى الدراسات الاستشراقية عن الإسلام ،.وكذلك فى دراسات تاريخ الأديان التى تناولت الإسلام . وقبل الدخول فى الحديث عن هذا المفهوم وأهميته فى فهم طبيعة الإسلام وعلاقته بالأديان نؤكد على أن هذا المفهوم قرآنى مستمد من الآية القرآنية الكريمة : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٤٨) وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ (٤٩) أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ {المائدة ٤٨ - ٥٠ }

كما وردت فى القرآن صفة الهيمنة فى وصف الله سبحانه وتعلى بالمهيمن كإسم من أسماء الله الحسنى : ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذى لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّه عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ { سورة الحشر ٢٣ } ومعنى « المهيمن » الرقيب الحافظ لكل شيء (١٦).

وقد دارت معانى الهيمنة عند المفسرين حول التصديق ، والرقابة، والشهادة والحفظ والائتمان . ففى تفسير الطبرى ورد فى شرح « ومهيمنا عليه » أى : أنزلناه بتصديق ما قبله من كتب الله التى أنزلها إلى أنبيائه ، ومهيمنا عليه ، يقول انزلنا الكتاب الذى أنزلناه إليك يا محمد مصدقا للكتب قبله وشهيدا عليها أنها حق من عند الله . أمينا عليها حافظا لها ، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب يقال إذا رقب الرجل الشئ وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو يهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن .. (١٧) ويقول الطبرى نقلا عن ابن جريج : القرآن أمين على الكتب فيما إذا أخبرنا أهل الكتاب فى كتبهم بأمر إن كان فى القرآن فصدقوا وإلا فكذبوا(١٨) والقرآن أمين على كل كتاب قبله ... ومهيمنا عليه يعنى [أمينا عليه يحكم على ما كان قبله من الكتب (١٩)، وفسر بعضهم [المهيمن] بمعنى المصدّق : [ومهيمنا عليه قال مصدّقا عليه كل شئ أنزله الله من توراة أو إنجيل أو زبور فالقرآن مصدّق على ذلك](٢٠) وقد حدد الفخر الرازى معنى الهيمنة بالرقابة والشهادة على الشئ والحفظ ، والقرآن مهيمن على الكتب: [لأنه الكتاب

الذى لا يصير منسوخا البتة ولا يتطرق إليه التبديل والتحريف وشهادة القرآن على أن التوراه والإنجيل والزبور حق صدق باقية أبدا فكانت حقيقة هذه الكتب معلومة أبدا](٢١).

ويضيف ابن كثير إلى هذه المعانى السابقة للهيمنة : [فهو (القرآن) أمين وشاهد وحكم على كل كتاب قبله جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمها ، وأشملها وأعظمها وأكملها . حيث جمع فيه محاسن ما قبله . وزاده من الكمالات ما ليس فى غيره . فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها ، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة](٢٢).

وهذه الصفات للهيمنة القرآنية على الكتب السابقة نترجمها فى مجال تاريخ الأديان إلى هيمنة الإسلام على الأديان التى سبقته فالقرآن الكريم هو الكتاب الإسلامى وبقية كتب الأديان تمثل أديانها كمصدر لها ، وبالتالى فالهيمنة القرآنية هى هيمنة الإسلام على بقية أديان العالم بهدف العودة إلى الدين الواحد للبشرية دين التوحيد واعتباره مهيمنا على الأديان فما وافق الإسلام من هذه الأديان فهو حق . وما خالفه منها فهو باطل ، وهذه الترجمة لمعنى الهيمنة القرآنية فى مجال تارخ الأديان ليست مقحمة على الآية القرآنية التى ورد فيها ذكر هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة . فبقية الآية الكريمة والآيات التالية لها تؤكد على هيمنة الإسلام على الأديان ، فهو دين الأنبياء السابقين وقد احتوى الإسلام تعاليمهم ، وقوله تعالى : «لكل جعلنا منكم شرعة

ومنهجا » هو إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد.(٢٣) وقوله تعالى :« ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة » فيه خطاب لجميع الأمم وأهل الأديان عن قدرة الله تعالى التى لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شئ منها . ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ، ثم نسخها أو بعثها برسالة الآخر الذى بعده »(٢٤) حتى نسخ الجميع بالإسلام خاتم الأديان وبرسوله الرسول خاتم الأنبياء جميعا عليهم السلام ، وهكذا تشير الآية الكريمة فى مجموعها إلى هيمنة قرآنية على الكتب السابقة وإلى هيمنة الإسلام على الأديان السابقة .

١ - معنى الهيمنة القرآنية

يجب أن نشير أولا الى أن مفهوم الهيمنة لا يعنى نوعا من فرض السيادة الإسلامية على الأديان أو سيطرة للإسلام على الأديان . والحقيقة أن المفسرين على اختلاف اتجاهاتهم لم يفسروا الهيمنة بالسيادة أو السيطرة . فهذه المعانى بعيدة كلية عن القصد الإسلامى وهى لا تتفق ومبادىء الإسلام الخاصة بالتسامح مع الأديان الآخرى ولا مع مبدأ حرية الاعتقاد والعبادة فى الإسلام . ولهذا تتفق مصادر التفسير القرآنى الأساسية فى عدم إيراد معانى السيادة والسيطرة الدينية ضمن معانى الهيمنة التى فسَّروا بها الآية القرآنية الكريمة .

ومن مراجعة أهم مصادر التفسير اتضح أن معانى الهيمنة تدور حول التصديق ، والرقابة ، والشهادة ، والحفظ ، والائتمان . وهى كلها معانٍ إيجابية ولا تتضمن دلالات سلبية تجاه الكتب السابقة وقبولها فيما وافق الإسلام ، ومخالفتها فيما خالف الإسلام . ولم يعرف تاريخ الأديان مثل هذا التصديق حتى فى حالة الأديان التى ورثت الكتب السابقة عليها حيث أعادت تفسيرها وغيّرت من دلالتها ، وحرّفت وبدّلت فيها ، وعطلت من أحكامها الشىء الكثير . أما « التصديق » القرآنى للكتب السابقة فهو بمثابة اعتراف بها ، وحث للمسلمين على أن يعملوا بما بقى إسلاميا منها ، وترك ما انحرف على خط الإسلام منها باعتبار أن هذه الكتب السابقة نزلت على أنبياء ورسل مسلمين داخل إطار مفهوم الإسلام كدين للبشرية منذ بدايتها ، وان كل دعوات الأنبياء والرسل عليهم السلام دعوات إسلامية . أما الهيمنة بمعنى « الرقابة » فالقصد منها أن القرآن الكريم بكونه آخر الكتب الموحى بها ، وبكونه رقيبا على الكتب الأخرى يحدد الصحيح فيها من غير الصحيح ، وهو المعيار النقدى للتعرف على بقايا الوحى فى الكتب السابقة و تحديد ما لا ينتسب الى الوحى منها . والهيمنة بمعنى «الشهادة» تعنى أن القرآن الكريم شاهد على أن الكتب السابقة حق من عند الله . فما اتفق من مادتها يثبت أصلها الإلهى ويشهد على أنها كتب منزلة من عند الله سبحانه وتعالى ،ومالا

يتفق مع القرآن الكريم فيها فهو الإنساني ، والقرآن شاهد على انسانيته بما يرد فى هذه المادة الانسانية من تناقض وخلط . والتناقض والاختلاف فيها هو دليل الوضع الانسانى لأن التناقض والاختلاف لا يمكن أن يكون من عند الله سبحانه تعالى . وقد عبَّر القرآن الكريم عن هذا المنهج النقدى بقوله تعالى : { **ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا** } (النساء ٨٢).

اما الهيمنة بمعنى « الحفظ » فالقرآن الكريم أحاط بالكتب السابقة ، وعرَّف بها فى شكلها الإلهى الصحيح من خلال ما ورد فى القرآن الكريم من أخبار عن الديانات السابقة ومن نقد دينى وأخلاقى لما وقع فيه أهل الكتب السابقة من تغييرات أصابت الدين والأخلاق . فوضَّح القرآن الكريم الصحيح الذى أتى به الأنبياء والرسل السابقون عليهم السلام ، وبيَّن الزيف الذى وقع فيه أقوامهم ، والتغيير الذى أجروه على الاعتقاد الصحيح . وقد حافظ القرآن الكريم على المعتقدات الدينية الصحيحة للأديان السابقة بعد أن ضيَّع الانسان النصوص المقدسة التى وصلته عن طريق الأنبياء والرسل فحفظت بذلك المعتقدات على مستوى المعنى بعد أن ضاعت على مستوى النَّص .

والهيمنة بمعنى « الائتمان » تعنى أن القرآن الكريم أمين على الكتب السابقة ومؤتمن عليها من الضياع بما ورد فيه مما يدل عليها ، ويؤكد صحتها ، ويثبت وجودها ونزولها ، وكأن هذه

الكتب السابقة أمانة فى عنق القرآن الكريم أداها القرآن الكريم إلى اصحابها بعد نزول القرآن الكريم وفيه الكثير من صحيح هذه الكتب والأديان ، وليكون فى نفس الوقت الفرقان الفاصل بين الحق والباطل فيها ، بل إن الأمانة القرآنية هنا تتسع لتعرف أهل الكتب السابقة ليس بالصحيح فقط ولكن بالباطل أيضا الذى تسرّب الى كتبهم مع الزمن وقبل تثبيت نصوصها ، وإن لم يمنع تثبيت النصوص من إجراء التغيير فى المعنى من خلال التفسيربعد أن صعب التغيير اللفظى .

وهكذا جمع مفهوم الهيمنة القرآنية على الكتب السابقة جميع العناصر الإيجابية فى حق الكتب السابقة وأديانها مدللا على وجودها ونزولها من عند الله سبحانه وتعالى ، ومصدرها الإلهى. وقد كان القرآن الكريم الرقيب عليها ، الحافظ لها ، الدال على الصحيح فيها ، المبين للباطل فيها ، والحاكم عليها والمؤتمن الأمين على مضامينها . ويلاحظ أن كل هذه المعانى للهيمنة لا تحتوى على أية مفاهيم تخص السيطرة الدينية ، أو فرض السيادة على الكتب السابقة أو أديانها . فالإسلام فى تاريخه لم يمنع أهل الكتاب من استخدام كتبهم والعودة إليها ، ولم يجبرهم على قبول القرآن الكريم كبديل لها أو الدخول فى الإسلام عن غير اقتناع به . ولو حدث هذا لكانت هذه هى الهيمنة فى معنى السيادة والسيطرة.

ولكى يتضح مفهوم الهيمنة القرآنية على الكتب الأخرى نضيف الى المعانى السابقة الواردة فى كتب التفسير عند المسلمين بعض المعانى الأخرى الموضحة لهذا المفهوم . والمعنى الأول الذى نراه معبرا عن الهيمنة هو الاحتواء . فالقرآن الكريم احتوى الكتب السابقة ، أى عبّر عن كل اعتقاداتها ومفاهيمها الصحيحة الأصلية. والحقيقة أن الاحتواء كامن أصلا فى كون الإسلام دين البشرية منذ بدايتها ، وفى كون الكتب السابقة محتواة داخل الاسلام ، وكون رسالات الأنبياء والرسل السابقين عليهم السلام محتواة كذلك داخل الإسلامْ ، فالاسلام كدين واحدللبشرية منذ بدايتها إلى نهايتها أصبح يحتوى كل الرسالات السابقة ، والقرآن الكريم يحتوى كل الكتب المنزلة السابقة . هذا الاحتواء هو الذى أعطى للهيمنة دلالتها السابقة مثل التصديق والرقابة والشهادة والحفظ والائتمان . والاحتواء لم يتوقف عند حدود استيعاب الصحيح وحفظه بل احتوى أيضا التغيير الذى طرأ على الصحيح ، وعبّر عنه القرآن الكريم من خلال النقد الدينى والأخلاقى ، فالصحيح يُعرض عرضا مستقلا عن غير الصحيح ، كما يُعرض أحيانا فى مقابل غير الصحيح حتى يتضح الصحيح وغير الصحيح معا . ونضرب مثالا على ذلك بقوله تعالى : { **ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد** } (النساء ١٧١) .فهذا الجزء من الآية يحتوى على الأصل والتغيير الذى طرأ على الأصل و

ويشير الى الصحيح فى مقابل غير الصحيح . وكذلك فى قوله تعالى : {وقالت اليهود يد الله مغلولة غُلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء} (المائدة ٦٤) . وهكذا تحتوى الآية على توضيح للخطأ والصواب وللباطل والصحيح .

ويمكن فهم الهيمنة بمعنى الاحتواء فى ضوء عالمية الإسلام والقرآن وخصوصية الأديان وكتبها . فالعالمية على مستوى الدين والكتاب تعنى الاحتواء على كل الصحيح الذى ورد فى الأديان السابقة وفى الكتب المنزلة السابقة ، والإضافة الى هذا الصحيح ما يحقق الكمال الدينى ويجعل من الإسلام كمال الدين، ومن القرآن الكريم الكتاب الحق الكامل . وخصوصية الأديان السابقة وكتبها تحتم عدم اكتمالها ونقصانها . فهى تحتوى على رسائل محدودة فى الزمان والمكان ، وتعالج أوضاعا دينية لأقوام بعينهم. وقد دخل مجموع هذه الرسائل المحدودة فى الإسلام لأنها جميعا دعوات للإسلام فى تاريخ الأنبياء عليهم السلام اكتملت واجتمعت كلها فى رسالة الإسلام الأخيرة .

ومن معانى الهيمنة أيضا الإحاطة بما ورد فى الكتب السابقة وفى الدعوات السابقة . والإحاطة صفة يتصف بها القرآن الكريم الذى لم يترك أمرا يخص الأديان السابقة إلا وأحاط به وأخبر عنه فى صورة مجملة لأن القرآن الكريم ليس كتابا فى تاريخ الأديان يصفها وصفا تفصيليا ، إنما هو يقدم نقدا عاما للأديان ورؤية

إسلامية للصحيح منها والفاسد فيها . ويستخلص من تاريخ الأديان المواعظ والعبر والدروس الدينية . والإحاطة صفة أساسية فى القرآن الكريم استنادا إلى قوله تعالى : {ما فرطنا في الكتاب من شئ } (الانعام ٣٨) . ومع عمومية هذه الصفة وانطباقها على كل شىء فإن تخصيصها فى مجال تاريخ الأديان أولى. فالقرآن الكريم، والإسلام بالتالى، أحاطا إحاطة كاملة وافية بكل الفكر الدينى السابق على ظهور الإسلام . وهى صفة ينفرد بها القرآن الكريم بين كل الكتب المقدسة للأديان . فهو يستعرض فى شكل إجمالى وموجز التاريخ الدينى للبشرية ناقدا لهذا التاريخ وموضحا لصحيحه من فاسده مقدما الإسلام كدين أساسى وأصلى للبشرية ، ومناديا بالعودة الى التوحيد الصحيح فى أبسط صوره ومعانيه مع الابتعاد عن التعقيدات اللاهوتية التى أضرت بالتوحيد ، وضيعت نقاءه وبساطته .

ومن معانى الهيمنة المهمة أيضا الكفاية، فهيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة تشير أيضا إلى كفاية ما ورد فى القرآن الكريم ، وإمكانية الاستغناء عن كل ما سبق أن ورد فى الكتب السابقة . فقد احتواها القرآن الكريم وأعطاها فى صورة صحيحة كاملة تعوّض النقص السابق ، وتبتعد عن الخلط واللبس الذين وقعا فيما سبق من الكتب . وكذلك الإسلام أيضا كدين فيه الكفاية من إشباع الحاجة الدينية الروحية للإنسان بما يحتويه من

عقيدة صحيحة ، ومفاهيم دينية ، وأحكام وتشريعات ، وشعائر وعبادات ، وأخلاقيات ومبادىء ، وقيم دينية. فالاحتواء والإحاطة بكل شيء فى أمور الدين جعلا من الإسلام الدين الكامل الكافى للعباد.

ويأتى مفهوم النسخ ليؤكد على كفاية القرآن الكريم والإسلام للبشرية . فالقرآن الكريم باحتوائه وإحاطته لكل شيء نسخ كل الكتب السابقة عليه حيث اشتمل على أصولها وعلى الصالح فيها، وقدمها فى شكلها الصحيح السليم . والإسلام أيضا نسخ الديانات السابقة باحتوائه واحاطته لكل ما يلزم الانسان من الناحية الدينية وعلى الوجه الأكمل والأصح والأسلم . ورغم هذا الاعتقاد فى النسخ فإن الإسلام لم يتدخل لإجبار البشر على التخلى عن كتبهم وعقائدهم إنما قدّم إليهم المعرفة الاسلامية بكتبهم وعقائدهم ، وضح لهم نقد الإسلام لها ، وموقفه منها ، وتركهم لعقولهم يختارون بين الصحيح والخاطىء وبين الكامل والناقص دون قهر أو تعسف ، وعلى أساس من التسامح الدينى وحرية الاعتقاد ،وعلى أساس من الاقتناع العقلى الخالص : { إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء} (القصص ٥٦) وكذلك قوله تعالى : { ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء} (البقرة ٢٧٢) .

ولعل من أهم معانى الهيمنة كذلك أن القرآن الكريم الجامع المانع لكل ما ورد فى الكتب السابقة . فقد جمع الصحيح ونصّ على ما يوافق الإسلام وما ينتمى الى التوحيد الصحيح فيها كما منع القرآن الكريم الفاسد فى الكتب السابقة وذلك بتوضيحه والتصريح به ونقده والحضّ على تركه ، فأصبح جامعا للحق مانعا للباطل { قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا } (الإسراء ٨١) . وهو الجامع للعقيدة الصحيحة والأحكام والتشريعات والعبادات الحقيقية ، والمانع لكل ما يفسد العقيدة . لذلك كان القرآن والإسلام كافيين للبشرية على مستوى الكتب وعلى مستوى الأديان بهذه الشمولية الجامعة المانعة .

وهكذا اجتمعت فى القرآن الكريم وفى الإسلام كل المواصفات المؤدية إلى الهيمنة الدينية دون فرض سيطرة ، أو ممارسة سيادة. فقد اجتمعت فيه صفات التصديق والرقابة والشهادة والحفظ والائتمان وكذلك صفات الاحتواء ، والاحاطة ، والكفاية ، والشمولية ، والجمع والمنع والنسخ .

ويجب أن نشير هنا الى أن مؤرخى الأديان والمستشرقين الدارسين للإسلام لم يفهموا معنى الهيمنة بل إنهم أسقطوها من حساباتهم رغم أن الموضوعية الدينية تستدعى إبراز رؤية الدين لنفسه وتحديده لموقفه من الأديان الأخرى . وقد بسّط مؤرخو الأديان والمستشرقون المعالجة لعلاقة الإسلام ببقية الأديان ،

وبخاصة علاقته بالأديان التوحيدية السابقة عليه ، تبسيطا شديدا لا يتناسب مع مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان . فقد فهموا الإحاطة والاحتواء على أنها تشير الى تأثر إسلامى بالأديان السابقة عليه ، وأن الاحتواء ما هو إلا أخذ عن الأديان الأخرى وعن الكتب السابقة يالنسبة للقرآن الكريم . لذلك انشغلوا بموضوع التأثير ، وحاولوا رد الإسلام الى مصادر يهودية ومسيحية وعربية قديمة ، ورد القرآن الكريم الى مصادر توراتية وتلمودية وإنجيلية مستندين استنادا حرفيا الى قاعدة التشابه . فكلما وجدوا شيئا قرآنيا أو إسلاميا له مشابه فى اليهودية أو المسيحية أو غيرهما اعتبروا الإسلام متأثرا وناقلا من الأديان الأقدم والكتب الأسبق . وهذا هو بطبيعة الحال الطريق السهل البسيط أمام مؤرخ الأديان والمستشرق الذى يتجاهل طبيعة الإسلام وعلاقته الحقيقية بالأديان السابقة عليه عن عمد ، ويتمسك بنظرية التأثير والتأثر وهى من أهم معالم منهج النقد التاريخى المعتمد فى تاريخ الاستشراق الحديث وفى تاريخ الأديان. فالتشابه يعنى التأثر ومنطقيا التأثر يحدث من الدين السابق على الدين اللاحق .

وليس هنا مجال الرد على الاستشراق وتاريخ الأديان فيما يتعلق بنظرية التأثير و التأثر والتطبيق الحرفى لها فى مجال الإسلام وعلاقته بالأديان السابقة عليه . ونقول اختصارا إن الإسلام

لا يعتبر نفسه دينا جديدا وهو الدين الوحيد الذى يقدم نظرية كاملة فى أصل الدين تقوم على كون التوحيد هو الأصل والأقدم فى تاريخ الأديان ، وتقوم على أن الإسلام دين البشرية منذ آدم عليه السلام. وداخل إطار شمولية الإسلام لتاريخ البشرية ظهرت الرسالات والأديان المختلفة وهى تقترب أو تبتعد عن التوحيد وعن جوهر الدين الذى تعبر عنه كلمة « إسلام » بمعنى الطاعة واستسلام إرادة المخلوق لإرادة الإله الواحد الخالق . وداخل تاريخ الإسلام منذ آدم عليه السلام وإلى ظهور الإسلام فى التاريخ لايوجد تأثير أو تأثر أو أخذ فنحن نتعامل مع دين واحد ، يتغير ويتبدل بفعل البشر مع مرور الزمن ، فيبتعد أو يقترب من أصوله الأولى على مستوى التوحيد والإسلام بمعنى الطاعة السابقة الذكر . وتمثل اليهودية والمسيحية مرحلتين سابقتين فى تاريخ الإسلام مع الأخذ فى الاعتبار أن هذه المسميات مرفوضة لعدم تعبيرها عن حقيقة التوحيد والطاعة . وهاتان المرحلتان فى تاريخ الإسلام تحقق فيهما بعد وقرب نسبى من التوحيد والإسلام . وقد سبقتهما مراحل أنقى وأخلص على مستوى التوحيد والطاعة لعل أبرزها مرحلة دين ابراهيم عليه السلام والتى مع ظهور الإسلام فى التاريخ عاد إليها كقاعدة دينية صحيحة للتوحيد والطاعة فتجاوز اليهودية والمسيحية لتجاوزهما على التوحيد والطاعة ، وتمسك بدين ابراهيم عليه السلام كدين معبّر عن الفطرة الدينية السليمة ،

والعقل الدينى السليم من خلال الالتزام بتوحيد دينى بسيط فطرى نقى وخالص وبرىء ، والالتزام بطاعة فطرية تلقائية بسيطة خالصة وطاهرة . وكان الأولى بالمستشرقين ومؤرخى الأديان أن يشغلوا أنفسهم بالانحراف الذى وقعت فيه اليهودية والمسيحية بالنسبة لدين ابراهيم عليه السلام وهو الدين الأصل لهما فى التاريخ . وقد أهملت اليهودية والمسيحية دين ابراهيم عليه السلام وخرجتا عليه وطورتا شكلا للتوحيد والطاعة لاتمتان بصلة الى الأصل الإبراهيمى . والدور الذى قام به الإسلام هو حفظ دين ابراهيم عليه السلام ، والعودة إليه ، ورفض كل التجاوزات اليهودية والمسيحية فى حق دين ابراهيم عليه السلام . وبدون الدخول فى تفاصيل هذه القضية نتساءل كيف يتأثر الإسلام بديانتين من أكثر الديانات التى نقدها الإسلام ووضح ما فيهما من تحريف فى العقائد ؟ وكيف يأخذ الإسلام مما يقر بتجاوزه وخروجه على التوحيد الصحيح والطاعة الصحيحة ؟ هناك بالتأكيد تناقض واضح فى دعاوى المستشرقين ومؤرخى الأديان وخروج على الموضوعية العلمية . والحقيقة المطلوبة من المستشرق الموضوعى ومن مؤرخ الأديان الموضوعى أن يفهم نظرية الهيمنة كما شرحناها حتى يعرف العلاقة الحقيقية بين الإسلام والديانتين السابقتين عليه . فالإسلام احتوى الصحيح فى هاتين الديانتين ، وفنّد غير الصحيح، ومنع المسلمين من الوقوع فيه ، وأتى الإسلام جامعا

مانعا شاملا وكافيا بحيث أنه أصبح في غير حاجة دينية الى اليهودية والمسيحية . ويعطينا تاريخ الأديان أصدق الأدلة على عدم اعتماد الإسلام على اليهودية والمسيحية من خلال مقارنة بسيطة بينه وبينهما ليتضح أن الخلاف العقدى بين الإسلام وبين اليهودية والمسيحية خلاف لايمكن تجاوزه أو التقريب فيه بينهما لأنه خلاف جوهرى . فهل تأثر الإسلام بالمسيحية فى تأليهها لعيسى عليه السلام ؟ هل أخذ عنها عقيدة التثليث ؟ هل استمد منها عقيدة المسيح المخلص ؟ هل أخذ منها مفهوم أصالة الخطيئة الإنسانية ؟ هل آمن الإسلام بصلب المسيح عليه السلام ؟ الإجابة التى لاينكرها المستشرق ومؤرخ الأديان هى بالنفى ... والسؤال ماذا تبقى فى المسيحية لكى يأخذه الإسلام ؟؟ وكذلك الوضع بالنسبة لليهودية . هل أخذ منها الإسلام توحيدها القومى ؟ هل أخذ منها خصوصية التوحيد وخصوصية الإله الواحد ؟ هل أخذ منها مفهومها العرقى للاختيار الإلهى لبنى اسرائيل ؟ هل أخذ منها عهودها العنصرية مع إلهها ؟ هل أخذ منها اعتقادها فى المسيح المخلص الذى لم يأت بعد ؟ والإجابة بالنفى . ولا نعلم ماذا يتبقى من اليهوديه والمسيحية لكى يتأثر به الاسلام . وهذه كلها تساؤلات منطقية وموضوعية حول موضوع التأثر والتأثير فى تاريخ الأديان .

٢ـ أدلة هيمنة القرآن والإسلام فى تاريخ الأديان

يشهد تاريخ الأديان على صحة الهيمنة القرآنية والإسلامية على الكتب السابقة ويعطى أدلة دامغة على هذا . ومن أهم هذه الأدلة :

أ ـ حدوث تأثير إسلامى فى معظم الأديان التى عرفها تاريخ الأديان . وهذا التأثير ناتج عن تفاعل الأديان الأخرى مع النزعة النقدية التصحيحية التى تبناها الإسلام للدلالة على هيمنته من ناحية ولتصحيح الأوضاع الدينية للبشرية من ناحية أخرى . وقد نتج هذا التفاعل مع الإسلام عن تمسك الإسلام بمبدأ التسامح الدينى وحرية الاعتقاد ، وقبول التعددية الدينية . والحقيقة أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى تعاملت معه الأديان تعاملا مباشرا وذلك بظهوره وانتشاره فى قلب العالم القديم وانطلاقه من هذا القلب الى الشرق والغرب والشمال والجنوب ، واحتكاكه بكل الشعوب وكل الأديان ، وهو أمر لم يتحقق لدين آخر بما فى ذلك المسيحية ذاتها . وقد أدركت الشعوب والأديان أنها لم تفقد حريتها الدينية ، ولم تفقد استقلالها الدينى حيث ظلت أديانها تعيش الى جانب الإسلام وفى ظل حمايته الدينية . ولا يوجد دين فى العالم وفَّر الحماية والرعاية للأديان الأخرى كما فعل الإسلام . وفى نفس الوقت لم يتوقف الإسلام عن التمسك بدور الرقيب والأمين والحافظ للأديان الآخرى وهى من ملامح الهيمنة المذكورة سابقا . فهو يصحح وينتقد الأوضاع الدينية للشعوب بدون تدخل ،

ويترك الفرصة للعقل لكى يلعب دوره فى تحقيق التصحيح والتفاعل مع النقد الإسلامى . فالنقد عملية عقلية ضرورية لم يتنازل عنها الإسلام فى أى وقت من الأوقات ، ولكنه أداها داخل إطار من الاعتراف والتسامح والود مع أهل الأديان الأخرى وبدون إبداء الرغبة القسرية فى تحويل الشعوب عن أديانها . فالتحوّل من المنظور الإسلامى عملية فكرية عقلية تقوم على اكتساب المعرفة الدينية ، وتحليلها ونقدها ، وقبولها أو رفضها عن اقتناع كامل . وفى كلتا الحالتين الحقوق محفوظة والحرية الدينية ممنوحة ، والحماية الشرعية لأهل لأديان مكفولة .

إن كثيرا من عمليات الإصلاح الدينى والتصحيح التى أجرتها الأديان فى فكرها حدثت بتأثير إسلامى ومن خلال تفاعل مع النقد الأسلامى .ففى مجال الهيمنة القرآنية على الكتب السابقة تفاعل الغرب اليهودى والمسيحى مع النقد القرآنى والإسلامى بشكل مباشر أو غير مباشر . ولدينا على ذلك دليلان من تاريخ الأديان . الدليل الأول نستمده من الموقف المسيحى البروتستانتى من استخدام الكتاب المقدس حيث تمسكت البروتستانتية بحرية تداول الكتاب المقدس ، وتأمينه لجميع المؤمنين به ، وكسر احتكر رجال الدين لتفسيره واستخدامه . كما نادت البروتستانتية أيضا بضرورة العودة الى الأصول فأصبحت الأناجيل تمثل حجر الزاوية فى الفكر البروتستانتى الذى تسمّى أيضا بالفكر الإنجيلى إشارة الى تمسكه

بالأصول ، وتجاوز كل التراث المسيحى الذى تطور بعد ذلك .
وفى هذا المبدأ البروتستانتى تشابه مع الموقف الإسلامى من العودة الى الأصول كما تمثل فى تجاوز اليهودية والمسيحية والعودة الى دين ابراهيم عليه السلام . وكما ظهر أيضا فى جعل الكتاب متاحا لكل المسلمين ورفض أى احتكار للقرآن الكريم بواسطة فئة معينة ، وإعطاء المسلم حرية العودة الى القرآن الكريم وتفسيره وفهمه طالما توافرت فى المسلم شروط التفسير . وقد أخذ المذهب البروتستانتى كذلك بالحد من سلطة الكهنوت المسيطر على صلة المؤمن بربه ، وجعل هذه الصلة مباشرة بين الانسان والإله . والدليل الثانى الذى نقدمه من تاريخ الأديان وعلى مستوى هيمنة القرآن الكريم التفاعل الذى تم من جانب علماء نقد الكتاب المقدس فى الغرب الذين أخضعوا الكتاب المقدس بعهديه الجديد والقديم للنقد العلمى المصدرى والنصى والدينى والتاريخى والأدبى واللغوى بعد أن قبلوا نظرية التدخل الإنسانى فى وضع مادة الكتاب المقدس . ومن المعروف أن هذه نظرية قرآنية فى الأصل رفضها علماء اليهود والنصارى على مر الزمان إلى أن أدى انتصار العقل فى الغرب الى الأخذ بها دون الاعتراف بمصدرها القرآنى . ولا تعوزنا الأدلة على التأثر بالنقد القرآنى والإسلامى للكتاب المقدس . فعلماء نقد الكتاب المقدس معظمهم كانوا مستشرقين دارسين للقرآن الكريم وللإسلام وعارفين بالنقد القرآنى

والإسلامى ، وفاهمين للنظرية القرآنية الخاصة بالتحريف والتبديل فى الكتب المقدسة . ويأتى على رأس هؤلاء العلماء مؤسس مدرسة نقد الكتاب المقدس وهو المستشرق الألمانى يوليوس فلهاوزن (١٨٤٤ - ١٩١٨م) المتخصص فى الدراسات العربية والإسلامية [٢٥] .

أما الهيمنة على مستوى الإسلام فنرى من أدلة حدوثها فى تاريخ الأديان استجابة اليهودية والمسيحية للنقد الإسلامى، وإدخال الإصلاح على عقائدهما بدون الاعتراف بالتأثير الإسلامى . وكأن الإصلاح استجابة لتطورات دينية ونقد من داخل اليهودية والمسيحية . والمراجع للحركات الإصلاحية فى اليهودية والتى أدت الى تطور فرق دينية يهودية مستقلة سيرى أن هذه الفرق تعكس رؤى اسلامية فى اليهودية وتعبر عن استجابة ضمنية للنقد الإسلامى . وبدون الدخول فى تفاصيل نشير الى معتقدات وفكر فرق السامريين والقرائين على وجه الخصوص فهى تعكس تأثيرا اسلاميا مباشرا . ونشير أيضا الى فكر الأرثوذكسية اليهودية التى تفاعلت مع الإسلام فى العصر الوسيط ، وأعاد علماؤها الكبار أمثال سعديا الفيومى وموسى بن ميمون بناء اليهودية وإعطائها نظاما دينيا واضحا، وتحديد أركان الإيمان مقلدين للوضع الدينى فى الإسلام ، ومستفيدين من الخلفية الفكرية الإسلامية التى تبنوها وعاشوا فى أحضانها .

والتأثير الإسلامى لم يتوقف عند حدود اليهودية والمسيحية بل امتد الى ديانات شبه القارة الهندية وبخاصة الهندوسية البراهمانية والبوذية . فقد تفاعلت هذه الأديان مع النقد الإسلامى لها وللنظام الدينى الاجتماعى فيهما فظهرت فيهما حركات إصلاحية تعكس تأثرابالنقد الإسلامى . ولاشك أن التواجد الإسلامى القوى فى شبه القارة الهندية وفى كثير من بلدان الشرق الأقصى كان له دوره الكبير فى عمليات التصحيح والإصلاح التى ظهرت فى الهندوسية والبوذية وغيرهما من ديانات الشرق الأقصى . وبالنسبة للوضع الدينى البدائى فى القارة الإفريقية فللإسلام دور عظيم فى القضاء على الوثنية البدائية ، والارتقاء بالتفكير الدينى فى إفريقيا . وقد كانت استجابة الأفارقة للإسلام أكبر وأعظم فتحولت القارة فى معظمها الى قارة إسلامية تفاعلا مع الإسلام واستجابة لنقده الدينى للوثنية والبدائية الدينية .

هذا التأثير الإسلامى فى كل العالم تقريبا دليل على صحة مبدأ الهيمنة القرآنية على الكتب الدينية السابقة والهيمنة الإسلامية على الأديان الآخرى . وهو تأثير يتم بشكل طبيعى وبدون قسر لتعبيره المباشر عن الفطرة والعقلانية فى التدين ، والرغبة فى الإصلاح بدون إجبار على التحول . وقد أصلحت كثير من الأديان نفسها مع المحافظة على شخصيتها الدينية واستقلالها الدينى وتحت الحماية الإسلامية فى الوقت الذى كانت فيه للمسلمين سيادة سياسية ، وبدون هذه الحماية فى أوقات ضعف المسلمين.

ب ـ ومن أدلة الهيمنة الإسلامية فى تاريخ الأديان وجود علاقة دينية عضوية للإسلام بالأديان الأخرى . فالعلاقة مع الإسلام ليست علاقة هامشية إنما هى علاقة احتواء وإحاطة ورقابة وتصحيح وحفظ وائتمان وكل المعانى الواردة فى معنى الهيمنة . لقد بنى الإسلام علاقته بالأديان على أساس دينى تشريعى . ولم يترك هذه العلاقة لتحددها وتشكلها الظروف التاريخية أو أهواء الملوك والحكام ، بل أقامها على أساس من الدين والشريعة . ولذلك نتج عن هذه الهيمنة حماية للأديان ورعاية لها . وحفاظ على حقوق أهلها . وقد أولى الإسلام أهل الأديان التوحيدية عناية خاصة بصفتهم على نوع من التوحيد الذى اتخذه الإسلام كعامل لتحديد درجة القرابة مع الإسلام ولتحديد نوع العلاقة . وكلما اقتربنا من التوحيد كانت العلاقة أقوى . وقد شجع الإسلام الاتجاه التوحيدى فى بعض الأديان التى لم تقم على أساس من التوحيد أو حتى على أساس من الألوهية كما هو الحال فى معظم ديانات الشرق الأقصى. ولا شك فى أن بعض التفكير فى الألوهية الذى ظهر مؤخرا فى هذه الأديان كان بتأثير من الإسلام حيث أنها فى الأصل ديانات طبيعة ووجود ، وليست ديانات ألوهية . والتوحيد الذى يرونه هو وحدة للوجود يتم فيها فناء الإنسان فى الروح الكونية ، أو فى الوجود كنوع من الاتحاد مع الوجود . ولم يتخذ الإسلام موقفا سلبيا من الأديان المخالفة . فقد تسامح معها ، وتعامل مع

شعوبها ، وقدّم نفسه إليها بوسائل سلمية من خلال حثها على استخدام العقل وتغيير نفسها بنفسها .

وقد تمخضت هذه العلاقة العضوية بين الإسلام والأديان عن تأثير إسلامى فى كل الأديان وعن فضل له فى تطوير الأديان لنفسها ومساعدتها على اتخاذ مواقف دينية أكثر عقلانية . وقد قامت هذه العلاقة العضوية بين الإسلام والأديان على أساس قوى من قبول الصحيح ورفض غير الصحيح مما يعطى لهذه الأديان ثقة فى اعتقاداتها الصحيحة ، ويعطيها دافعا الى تغيير غير الصحيح منها . وهى علاقة قائمة على أساس الوفاق لا الصراع . فالإسلام لا يعترف بالصراع الدينى انطلاقا من مبدأ وحدة الدين واعتبار التوحيد أساس وأصل الدين ، وأن التعدد والشرك خروج على التوحيد يمكن تداركه بالعقل ، وبالتصحيح المستمر الناتج عن النقد المستمر . ولذلك لم يتوقف الإسلام عن النقد ، ولم تتوقف الأديان عن تصحيحها لنفسها سواءً اعترفت بفضل الإسلام عليها أو أقرّت بالإصلاح نتيجة لنقد داخلى .

هذه العلاقة العضوية بين الإسلام والأديان الأخرى جعلت الإسلام أكثر ايجابية من أى دين آخر فى علاقته بالأديان الآخرى . فهو أكثر اعترافا بالأديان الأخرى وتسامحا معها ، وتصديقا للصحيح فيها ، بل وقبولا للصحيح واعتباره من الإسلام . والإسلام أيضا أكثر الأديان نقدا وتصحيحا للأديان الأخرى ، وحفاظا عليها

ورقابة لها . وقد جمع الإسلام فى بنيته إيجابيات الأديان الأخرى . ولكل ما هو صحيح فيها متخلصا من كل سلبياتها فى عملية لا علاقة لها بالتلفيق إنما ترتبط بهذه الصفة العضوية للعلاقة بالأديان . وهى صفة تعود الى الاعتقاد الاسلامى فى وحدة الدين ، وكون الإسلام دين البشرية منذ بدايتها ، والإسلام يساعدها من خلال علاقته بها على العودة الى أصولها الأولى .

رابعا : جوهر الإسلام

اهتم تاريخ الأديان بموضوع التجربة أو الخبرة الدينية ، وتحديد جوهر الأديان وما يميز كل دين عن الآخر من حيث طبيعته وجوهره . وفى الوقت الذى قطع فيه علم تاريخ الأديان شوطا كبيرا وناجحا فى هذا المجال بالنسبة لمعظم أديان العالم فقد فشل حتى الآن فى الوصول الى رؤية متعمقة موضوعية لطبيعة الخبرة الدينية فى الإسلام ، وفى تحديد جوهر الإسلام تحديدا دقيقا . هذا رغم أن الإسلام أقرب أديان العالم الى العقلية الدينية الغربية يهودية كانت أو مسيحية ، وبالتأكيد فهناك عوامل غير علمية مؤثرة على المستشرقين ومؤرخى الأديان المتخصصين فى الإسلام تمنعهم من المعالجة السليمة والتناول العلمى للإسلام رغم قرب الإسلام من اليهودية والمسيحية وانتمائه الى نفس المجموعة الدينية ، ورغم تقارب اللغة الدينية فى الإسلام من لغة اليهودية والمسيحية ، والقدرة على فهم الدين من خلال وحدة اللغة الدينية القائمة على أساس التوحيد ، وصعوبة اللغة الدينية فى ديانات الشرق الأقصى وغرابتها بالنسبة لأديان التوحيد . وقد عبَّر عالم الأديان الدكتور اسماعيل الفاروقى عن وضع الإسلام الغريب فى دراسات تاريخ الأديان بقوله : « لا عجب أن الإسلام هو الدين الذى له أكبر عدد من الأعداء وبالتالى فهو أكثر الأديان بعدا عن الفهم . فلمدة أربعة

عشر قرنا انشغل غير المسلمين بدراسة الإسلام فقط من أجل محاربته . وفى حالة غياب هذا الدافع فإن الدراسة الغربية للإسلام ظلت علمية وعملية إلى حد فقدان معانى الورع والأخلاق والاحساس بالجمال التى تكوّن التدين الإسلامى . ولم يكن الإسلام أبدا هدفا للدراسة الموضوعية غير المتعصبة لتاريخ هذا العلم الدينى والذى يهدف عادة الى فهم التدين فى لحظات الفعل والحركة والتعبير ولحظات النمو والاكتمال . ولم يكن مؤرخو الأديان غير مهتمين فقط بمتابعة هذا ولكن علمهم لم يُطوّر بعد الأدوات المنهّجية الضرورية لهذا العمل . ولا يمكن القول بأن تعليق العالِم لمقولاته الدينية والثقافية وتوظيف كل إمكاناته لكى تتجدد بواسطة المادة الدينية تحت الفحص والبحث والذى يعد نقطة انطلاق المدرسة الظاهراتية فى الدراسة المقارنة ...... لا يمكن القول بأن هذه الأمور قد تحققت فى أى من الأعمال ذات الأهمية الدائمة فى حقل الإسلاميات » (٢٦).

إن جوهر الإسلام ومعناه يؤخذان من إسمه . وهذه سمة ليست موجودة فى مسميات الأديان الأخرى إذ لايوجد دين يشير إسمه الى جوهره ومعناه سوى الإسلام . فالأديان الأخرى استمدت مسمياتها من عوامل آخرى شخصية أو عرقية أو جغرافية فى بعض الأحيان . فاليهودية سميت باليهودية نسبة الى إقليم « يهوذا » الواقع جنوب فلسطين حسب المسميات التوراتية . ويعود اسم

الإقليم نفسه الى شخص يهوذا بن يعقوب عليه السلام والذى يرأس سبط يهوذا أحد أسباط بنى اسرائيل ، وسواء أكانت النسبة إلى مكان أو الى شخص فكلاهما لايعطى مضمونا للتسمية ، ولا يشير الى جوهر دينى . وكذلك الحال بالنسبة للمسيحية فالتسمية نسبة إلى المسيح عليه السلام أى نسبة إلى شخص ، وفى التسمية «نصرانية » نجد الإشارة الى بلدة الناصرة التى نشأ فيها عيسى عليه السلام وهناك من ينسبها الى أنصار عيسى عليه السلام أى الحواريين . وقد ورد فى القرآن الكريم قوله تعالى : { فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (آل عمران ٥٢) . وأما التسمية «عيسوية» فهى نسبة الدين كذلك الى شخص عيسى عليه السلام. وفى كل هذه الأسماء المختلفة للمسيحية لانجد الاسم يشير الى معنى الدين وجوهره . وكذلك الحال فى تسمية « الهندوسية » فهى نسبة الى بلد هو الهند ، والبوذية نسبة إلى شخص البوذا مؤسس البوذية ، والكونفوشيوسية نسبة إلى الحكيم الصينى كونفوشيوس . والتاوية نسبة إلى التاو بمعنى « الطريقة » أو «المحور » أو « أساس الوجود » وكلها لا تشير الى جوهر الدين أو إلى معنى دينى . والشنتوية نسبة الى شنتو بمعنى « طريق المطلق» أو « طريق الآلهة » وهى أيضا تسمية لا تدل على معنى أو جوهر . أما مجموعة الديانات التاريخية المرتبطة بالحضارات

الكبرى فى الشرق الأدنى القديم فكلها منسوبة إلى شعوبها أو الى أقاليمها مثل الديانة المصرية القديمة أو ديانة المصريين ، ومثل ديانة الآشوريين والبابليين أو الديانة الآشورية والبابلية ، ومثل الديانة الكنعانية أو الفينيقية أو العبرية ، أو العربية ، أو اليونانية، أو الفارسية ، أو الرومانية . وكلها تشير الى الشعوب والأقاليم ولا تحمل أية دلالة دينية ، أو معنى دينى يميز هذه الأديان عن بعضها البعض ، وهكذا باستعراض أديان العالم كلها قديمها وحديثها لا نجد دينا يحمل اسمه دلالة دينية أو معنى دينيا . وينطبق هذا أيضا على الفرق الدينية الكبرى فى الأديان مثل فرق اليهودية كالفريسيين ، والصدوقيين ، والاسينيين ،والسامريين ، والقرائين ، والفرق الحديثة مثل الأورثوذكسية والإصلاحية والمحافظة ، والأورثوذكسية الجديدة فجميعها تعود الى أسماء أشخاص أو جماعات أو تعبر عن اتجاه دينى مثل الاتجاه المحافظ أو الإصلاحى أو غير ذلك . وينطبق نفس الشىء على فرق المسيحية فالأورثوذكسية تعنى « الأصلية »، والكاثوليكية تعنى « الجامعة » والبروتستانتية تعنى «المعارضة» هكذا بدون أية دلالة دينية واضحة تعبر عن جوهر الدين .

الإسلام هو الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة فى تاريخ الأديان. فالإسلام لم ينسب الى شخص ، ولم ينسب إلى مكان أو الى

جماعة، أو قوم أو شعب . لقد عبر الإسلام فى مسماه عن معنى دينى هو جوهر الدين ليس فى الإسلام فقط ولكن فى كل الأديان توحيدية كانت أو غير توحيدية . وجوهر الدين هو تسليم الإنسان وخضوعه لإرادة الإله الواحد ، واستسلام الإرادة الإنسانية للمشيئة الإلهية . وبالنسبة للأديان غير التوحيدية جوهر الدين هو خضوع الإنسان لإرادة عليا خارجة عن إرادته مثل قوة الوجود ، أو الكون، أو الطبيعة ، أو الطريقة ، أو غير ذلك من المسميات التى استخدمتها هذه الأديان للتعبير عن علاقة الإنسان بها . وبالنسبة للإسلام فمعناه إعلان واستسلام وخضوع الإرادة الإنسانية لإرادة الله سبحانه وتعالى . وقد أراد الإسلام أن يكون هذا الإسم علما على التجربة أو الخبرة الدينية للإنسان منذ بداية البشرية بإعلان وخضوع الإنسان لله سبحانه وتعالى ، أما الخضوع والاستسلام للإرادات والمشيئات الأخرى طبيعية كانت أو بشرية فإنها تحريف لموضع العبادة وهو الله سبحانه وتعالى ، والإبقاء على عملية الخضوع . وتاريخ الوحى هو فى الحقيقة تاريخ محاولات العودة بالإنسان من إعلان الخضوع للقوى الأخرى وإعلان الخضوع والعبادة لله الخالق فقط . وهذا الجوهر أو المعنى الدينى الذى عبّر عنه الإسلام فى مسمّاه صالح للتجربة الدينية للإنسان عموما بل هو يتفق اتفاقا تاما مع التعريف الذى أعطاه مؤرخو الأديان للدين . فالدين هو « علاقة بين الإنسان وقوة عظمى عليا يعتقد فيها

ويعتمد عليها » [٢٧] . وقد عرّفه شلاير ماخر بأنه « الشعور بالاعتماد المطلق » [٢٨] . ويحمل الإسم «إسلام » معانى خضوع إرادة الإنسان لله سبحانه وتعالى ويحمل أيضا معانى التوكل والاعتماد على الله سبحانه وتعالى .

وهناك ملاحظة جديرة بالانتباه وهى أن معظم مؤرخى الأديان ومعظم المستشرقين حاولوا تجنب استخدام الإسم « إسلام » علما على الإسلام ، وبحثوا له عن مسميات أخرى تندرج تحت نظريتهم العلميـة الخاصة بأن لكل دين واضعا أو مؤسسا ، وأن لكل دين نشأة فى زمان ومكان وتطور ، وبالتالى فأسماء الأديان تعبر عن هذه النشأة والتطور وتشير الى الواضع أو المؤسس . ولأن الإسلام لا يخضع لهذه النظرية فقد أسقطوها عليه إسقاطا فى محاولة غير موضوعية لتغيير إسم « الإسلام » إلى أى أسم آخر تنطبق عليه النظرية وشروطها . فنسبوا الإسلام غالبا إلى محمد ﷺ باعتباره عندهم واضع الدين الإسلامى ومؤسسه وتعبيرا عن عدم اعترافهم بالوحى وباستقلالية الإسلام عن الأديان الأخرى . ولذلك سُمىّ الإسلام « المحمدية » أو « دين محمد » بنسبته الى الرسول ﷺ واعتباره مؤسس الإسلام [٢٩] . وقد سمى الإسلام أيضا « دين العرب » نسبة الى القوم أو الشعب الذين ظهر فيهم الإسلام ، وسُمىّ كذلك « دين بلاد العرب » أو « دين شبه الجزيرة العربية » وذلك بنسبته إلى المكان الذى ظهر فيه . وتفننوا فى البحث عن

أسباب تاريخية إنسانية بيئية لظهور الإسلام ، وكثرت التعليلات والتبريرات المادية لظهور الإسلام . وكلها محاولات يائسة للهروب من التسمية التى اختارها الله سبحانه وتعالى لدينه الذى ارتضاه لخلقه . وهى التسمية المعبرة عن طبيعة العلاقة بين الإنسان والله سبحانه وتعالى والمشيرة أيضا إلى جوهر الدين بكونه معبرا عن الطاعة لله الخالق .

وللاسم «الإسلام » عدة دلالات دينية ذات صلة وثيقة بجوهر الدين وأولها الطاعة التى هى الترجمة الفعلية لاستسلام إرادة الإنسان لإرادة الله سبحانه وتعالى . والطاعة هى لب التجربة الدينية للإنسان وقلبها . ولذلك عرّف الشهرستانى الدين بأنه الطاعة والانقياد. وعرّف الإنسان المتدين بأنه الإنسان المسلم المطيع لأوامر الله ونواهيه (٣٠) . وكل الصفات التى يتصف بها الإنسان المتدين تعود بأصلها الى الطاعة. وبدون الطاعة لا تقوم للدين قائمة. ولذلك نجد الأديان تبنى نفسها حول مفهوم الطاعة فى مقابل المعصية . وفى الديانات التوحيدية يرتبط بمفهوم الطاعة عقيدة الثواب والعقاب والجنة كمأوى وثواب للمطيعين والنار كمأوى للعصاة . وتترجم ديانات الشرق الأقصى غير التوحيدية هذه المفاهيم فى صورة تناسب طبيعتها الدينية وإن لم تتحدث بشكل مباشر عن طاعة ومعصية وثواب وعقاب . وبالإضافة الى دلالة التسمية « إسلام » على « الطاعة » المنبثقة

عن استسلام الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية فإن التسمية لها دلالة دينية أخرى مهمة فى تحديد طبيعة الإسلام وهى دلالتها على وحدة الدين . وهى دلالة ليست متوفرة فى أسماء الأديان الأخرى . فالدين بمعنى خضوع إرادة الإنسان لإرادة الله قديم وليس مرتبطا بظهور الإسلام فى التاريخ . والتجربة الدينية الإسلامية إذن ليست جديدة أو مرتبطة بالمسلمين المنتمين إلى الاسلام فى التاريخ . فالإسلام بهذا المعنى هو دين البشرية كما عبر عنه تاريخ الأنبياء والرسل عليهم السلام ، وكما عبر عنه الوحى الإلهى فى الزمان والمكانْ ، ومن هنا تأتى تسمية كل الذين أخضعوا إرادتهم لله سبحانه وتعالى فى التاريخ الماضى بالمسلمين فى القرآن الكريم . ومن هنا فالتسمية تعبر عن التجربة الدينية العامة للبشرية باعتبار أن الإسلام دين البشرية .

ويرتبط بالتسمية « إسلام » أيضا دلالتها على الألوهية . فالصلة التى تربط الإنسان بقوة عليا والخضوع المعلن لهذه القوة هى صلة بالله وليست صلة بقوة غير محدودة كما هو الحال فى التجارب الدينية خارج دائرة ديانات التوحيد . والحقيقة أن هذه الديانات لا تعرف فكرة الخضوع الإنسانى لأن المعبود غير محدود الهوية فهو الطبيعة ، أو الكون ، أو الوجود ، أو أى شىء آخر ، بينما حددت ديانات التوحيد المعبود فى أنه الذات الإلهية . ولهذا فالعلاقة بين الإنسان والله تتصف بالمباشرة ، كما تتصف

بالخضوع والطاعة لأن الذات الإلهية صاحبة إرادة ومشيئة ، والإنسان صاحب إرادة ، والتدين هو فى إخضاع الإرادة الإنسانية للإرادة الإلهية . فالألوهية دلالة أساسية من دلالات التسمية « الإسلام » فالتسمية لا تشير الى استسلام أو خضوع لأية إرادة أخرى غير إرادة الله سبحانه وتعالى ، ولذلك فالكلمة لاتستخدم فى معنى الخضوع لإرادات أخرى انسانية أو طبيعية كونية .

ومن ناحية أخرى فإن التسمية « الإسلام » لها أيضا دلالتها على التوحيد . فالألوهية ليست تعددية أو ثنائية بل هى ألوهية وحدانية . والخضوع المستنبط من كلمة إسلام ليس خضوعا لعدد من الآلهة وذلك لتعدد الإرادات فى هذه الحالة وتعدد الخضوع فى نفس الوقت بتعدد الآلهة . وبهذا لن يكون الإسلام واحدا بل يكون عدة أنواع من الإسلام يتعدد فيها الولاء الإنسانى وتتعدد فيها الطاعات . وفى هذا يقول القرآن الكريم { مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ}(المؤمنون ٩١) . كما أن الألوهية ليست ثنائية لنفس السبب السابق : { وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ } (النحل ٥١) .فالتوحيد هو الأصل فى التدين. وبهذا يتحقق فى معنى « الإسلام » عدة دلالات تخص الإسلام دون غيره وهى دلالات الخضوع والا ستسلام للإرادة الإلهية ، وإعلان ذلك عن طريق الطاعة الإنسانية للأوامر والنواهى

الإلهية ، وأن الطاعة الإنسانية للألوهية ، وأن الألوهية توحيدية ، وليست تعددية أو ثنائية، وأن الألوهية ذات خالقة وليست قوة طبيعية ، أو كونية ، أو إنسانية. وبهذا تصبح التسمية « إسلام » دالة على التجربة الدينية الإسلامية العامة منذ بداية الخليقة ومتمثلة بشكل محدود فى التجربة الدينية اليهودية المسيحية ، وبشكل كامل فى الإسلام الذى احتوى التجارب الدينية فى التوحيد السابق عليه ، وخلصها من العناصر غير التوحيدية ، متجاوزا الإضافات اليهودية والمسيحية الغريبة على طبيعة التجربة أو الخبرة الدينية التوحيدية، وعائدا الى الصيغة الفطرية البسيطة النقية لهذه الخبرة الدينية ، وليس غريبا أن يصف القرآن الكريم ابراهيم عليه السلام بأنه أول من سمى المسلمين بالمسلمين وذلك لتحقق عناصر الخبرة الدينية السابقة الذكر فى دينه ودعوته.

خامسا : طبيعة التجربة الدينية فى الإسلام

بعد بيان جوهر الإسلام ننتقل إلى الحديث عن طبيعة الخبرة أو التجربة الدينية فى الإسلام ، والمقصود بالخبرة الدينية التعرف على المعانى والدلالات والمشاعر والأحاسيس الدينية التى تسيطر على الإنسان وهو فى حالة ممارسة دينه . ومعنى هذا أن الفعل الدينى يتكون من مظهر خارجى يتخذ شكل الطقوس والشعائر والفروض والواجبات الدينية ، والأحكام والتشريعات. التى يقوم الإنسان المتدين بأدائها ، كما يأخذ الفعل الدينى مظهرا داخليا يعكس المعانى والدلالات والرموز المتضمنة فى الطقوس والشعائر والفروض والواجبات والأحكام والتشريعات، وكما يقول نينيان سمارت إن التجربة الدينية تتمثل فى انصهار أو مزج المظاهر الخارجية للدين بالمعانى الداخلية (٣١) ومن الطبيعى أن تتبلور التجربة الدينية من خلال هذا الصهر أو المزج لأنه بدون هذا الصهر يصبح الفعل الدينى فى مظهره الخارجى خاليا من الشعور الدينى ، ويصبح الطقس الدينى مجرد مجموعة أفعال وأقوال لا تترجم إلى معانى ودلالات ومشاعر فى نفسية الإنسان المتدين وهو فى حالة ممارسة لإحدى الشعائر أو الفروض الدينية . وهذا الأمر نفسه يجعل دراسة التجربة الدينية فى جانبها الشعورى دراسة صعبة على الأجنبى على الدين المدروس لأنه يفقد الإحساس الدينى

المصاحب للشكل الخارجي للطقس أو الشعيرة ، وفى الوقت الذى ينجح فيه نسبيا فى وصف الفعل الدينى فى مظهره الخارجي يندر نجاحه فى فهم المعنى الداخلى والشعور المسيطر على المتدين التابع لدين آخر ، ولا تزال هذه المشكلة تؤرق مؤرخى الأديان لأنها تتطلب مجهودا ذهنيا فائقا ، كما تتطلب نوعا من المعايشة للدين الأجنبى قد تصل إلى حد التحول إلى دين آخر من أجل فهمه داخليا. وقد طبق بعض مؤرخى الأديان مبدأ المعايشة والتحول ، وحقق بعضهم نجاحا نسبيا فى مجال الوصف الداخلى للشعور الدينى . ومع ذلك تظل هذه معضلة علم تاريخ الأديان الأساسية لأن مبدأ المعايشة لا يقدر عليه إلا قلة، أما مبدأ التحول فلايجرؤ عليه إلا أفراد نادرون فى مجال تاريخ الأديان .

وبالنسبة إلى طبيعة التجربة الدينية فى الإسلام فهى مرتبطة أساسا بجوهر الإسلام كدين . هذا الجوهر الذى تم فى مبدأ الطاعة والاستسلام للإرادة الإلهية . فإذا كان الدين هو الطاعة والانقياد فتجربة المسلم الدينية تتمثل فى تحقيق الطاعة لله تعالى والانقياد لمشيئته ومن هنا كان تعريف المتدين فى الإسلام بأنه المسلم المطيع المقر بالجزاء والحساب فى الدنيا والآخرة. وهذا هو نفسه وجه التفرقة بين التجربة الدينية وما يسمى «التجربة الفلسفية »، فالطاعة لا يعمل بها عند الفلاسفة لأن المستبد برأيه محدث مبتدع حسب تعريف الشهرستانى : { إن أهل العالم

انقسموا من حيث المذاهب إلى أهل الديانات ، وإلى أهل الأهواء الإنسان إذا عقد عقدا أو قال قولا ، فإما أن يكون فيه مستفيدا من غيره أو مستبدا برأيه ، فالمستفيد من غيره مسلم مطيع ، والدين هو الطاعة والمسلم المطيع هو المتدين ، والمستبد محدث مبتدع . فالمستبدون بالرأى مطلقا هم منكرو النبوات ، مثل الفلاسفة والصابئة والبراهمة ، وهم لا يقولون بشرائع وأحكام أمرية، بل يضعون حدودا عقلية ، حتى يمكنهم التعايش عليها ، والمستفيدون هم القائلون بالنبوات ، ومن قال بالأحكام الشرعية فقد قال بالحدود العقلية ولا ينعكس » (٣٢). فالدين نوع من المعرفة العقلية المستمدة من الغير يستجيب لها الإنسان إما بالطاعة لمضمونها أو بعدم الطاعة . الدين معرفة تتطلب طاعة وانقياد ، والعناصر الثلاثة تكون بنية التجربة الدينية فى الإسلام . فالمعرفة الدينية جملة ما أتى بها الوحى الإلهى من عقائد ومفاهيم دينية يستجيب لها المسلم من خلال الطاعة وهى الأساس فى التدين ، وهى طاعة نظرية وعملية تشمل على القبول العقلى لمادة الدين ومحتوياته ، والتطبيق العملى له فى حياة الإنسان . فالدين معرفة تستلزم فعلا يستوجب الحساب والجزاء ، والانقياد تعبير اجتماعى يستخدمه الشهرستانى كنتيجة للطاعة ويرمز إلى التبعية الدينية من مجموع المسلمين المطيعين والمكونين لمجتمع التابعين (٣٣) .

١ - مراحل التجربة الدينية فى الإسلام :

تنقسم تجربة المسلم وخبرته الدينية إلى عدة مراحل قد تكتمل جميعها فيصبح المسلم صاحب تجربة دينية متكاملة ، أو لا تكتمل فتصبح تجربة دينية منتقصة أو أقل فى درجة دينيتها ، وهذه المراحل تعبر عن واقع دينى مشاهد فى حياة المسلمين كما تعبر أيضا عن طموح دينى يدفع الإنسان المسلم إلى الرفع من تجربته الدينية والانتقال بها من مرحلة دينية إلى مرحلة أخرى تالية حتى يحقق كمال التجربة ، كما أنها أيضا معيار أو مقياس لقياس درجة التدين عند الإنسان على المستوى الفردى أو الجماعى ، ومعرفة مستوى الالتزام الدينى عند الإنسان فى علاقته بالله وبالمجتمع المسلم .

ويمر تطور التجربة الدينية عند المسلم بمراحل الإسلام والإيمان والإحسان :

أ - الإسلام : أما مرحلة الإسلام فهى أولى مراحل التجربة الدينية عند المسلم وهى كذلك أولى مراحل الانقياد والالتزام الدينى ، ولذلك يطلق عليها الشهرستانى اسم « المبدأ » (٣٤) بمعنى أنها بداية الخبرة الدينية بما تحتويه من طاعة وانقياد ، ومرحلة الإسلام تعنى الخضوع والاستسلام للإرادة الإلهية ، وقبول الدين عن طواعية والتعبير عن هذا القبول بالخضوع والاستسلام . وقد يأخذ هذا القبول بالخضوع والاستسلام شكلا ظاهريا فهو إعلان الإسلام

علانية . ومتطلبات هذه المرحلة فى التجربة الدينية إعلان الشهادة أى قبول الوحدانية والنبوة بقول شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . هذه هى المتطلبات النظرية الدينيـة المجردة . أما المتطلبات العملية فهى تتمثل فى أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد ، وفيما عدا الشهادة التى هى بمثابة إعلان عن الإسلام يلاحظ أن بقية المتطلبات تتعلق بالعبادات لأنها من الناحية الظاهرية والشكلية هى التى تفرق المسلم عن غير المسلم فى هذه المرحلة الأولى من مراحل التجربة الدينية . وهى مرحلة الخضوع الفردى [٣٥] أى أنها مرحلة شخصية بحتة يعلن فيها الإنسان الشهادة ويقوم بأداء الفروض الدينية المطلوبة والتركيز هنا على الإعلان الظاهرى بنطق الكلمة وأداء الفروض الدينية .

ب - الإيمان : أما المرحلة الثانية من مراحل التجربة فهى مرحلة الإيمان وهى مرحلة الانتقال من الإعلان الظاهرى بقبول الإسلام فى النطق بالشهادة وأداء الفروض التى تحدد المسلم شكلا وظاهرا .. إلى مرحلة الإيمان وهى مرحلة العمل ، أو مرحلة التقوى تفرقة لها عن المرحلة الأولى . ويسميها الشهرستانى أيضا« الوسط» [٣٦] فهى وسط بين الإسلام أول مراحل التجربة الدينية والإحسان أعلى مراحل هذه التجربة . أما تسميتها بالعمل فالقصد هو أنها انتقال من مرحلة القبول الظاهرى للإسلام إلى مرحلة العمل به فيصبح الإنسان مؤمنا بما قبله ظاهريا وشكلا فى المرحلة

الأولى. فالإسلام الظاهر قد لا يعنى الإيمان الفعلى . وفى هذا يقول القرآن الكريم { قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم } { الحجرات ١٤ } . ويشرح الشهرستانى الفرق بين الإيمان والإسلام ، فى أن الإسلام هو «الاستسلام الظاهرى ويشترك فيه المؤمن والمنافق »[٣٧] ففى مرحلة الإسلام لا يمكن التفرقة بين الذى يؤدى الفروض الدينية عن إيمان وبين من يؤديها نفاقا إذ لا فرق من حيث الشكل ، فالإيمان فى القلب .

ومن المتطلبات الدينية فى مرحلة الإيمان إضافة إلى ما ورد من متطلبات مرحلة الإسلام ، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والبعث والجنة والنار، والحساب والميزان ، وجميعها مفاهيم نظرية ومعتقدات مكملة ومعمقة لمعتقدات المرحلة الأولى وفروضها . فالتركيز فى مرحلة الإسلام على الفروض الدينية بينما التركيز فى المرحلة الثانية على المعتقدات التى تثبّت الفروض وتعمقها وتنقلها من البعد الشكلى المعلن إلى البعد القلبى الإيمانى .

جـ - الإحسان : والمرحلة الأخيرة فى تجربة المسلم وخبرته الدينية هى مرحلة الإحسان ، ويسميها الشهرستانى «الكمال»[٣٨] أى هى كمال التدين وتمامه وأكمل أشكال الالتزام الدينى . وهى مرحلة القدرة على التذوق الدينى والحياة به ، والانشغال به بكل

قدرات الإنسان ومشاعره[٣٩] والإحسان هو مرحلة انصهار متطلبات المرحلتين الأولى والثانية واتخاذهما شكلا إجتماعيا وبعدا جماعيا إذ تغلب الصفة الشخصية الفردية على المرحلة الأولى ، وتنزوى تدريجيا بداية من المرحلة الثانية لتختفى فى الإحسان ، وهو ترجمة للدين فى المجتمع ، وفيه تأكيد على البعد الاجتماعى للدين ، بل هو الدين فى مجال العمل والتطبيق ، وإذا كانت المرحلتان الأولى والثانية معبرتين عن علاقة الإنسان بالله فإن المرحلة الثالثة فيها انعكاس لهذه العلاقة فى المجتمع ، فالإحسان هو غاية الطاعة وهدفها الأخير ، كما يعنى الإحسان خشية الله وتقواه ، ومراقبته فى كل شئ .

وقد عرّف الحديث النبوى الإحسان بأنه« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك »[٤٠] ، والإحسان عملية صهر اجتماعى للتجربة الدينية وفيها تتبلور وتتعمق كل مراحل التجربة الدينية . فإذا كانت المرحلة الأولى هى مرحلة إعلان الإسلام الظاهرى ، والمرحلة الثانية تحول الإسلام الظاهرى إلى إسلام داخلى مقره القلب ، فإن المرحلة الثالثة هى مرحلة صهر الإسلام الظاهرى والداخلى لتنتج حالة من التدين يتحول فيها الإسلام الداخلى وهو الإيمان إلى إتخاذ شكل ظاهرى جديد لا يشترك فيه المؤمن والمنافق كما حدث فى المرحلة الأولى ، ولكن يأخذ الإيمان عمقا اجتماعيا فيتحول إلى إحسان ينعكس فى المجتمع وكأن الشكل

الظاهرى فى « الإسلام » قد عاد من جديد ولكن فى حالة انصهار لا يشوبها نفاق ، لأنها مرحلة مراقبة المتدين لله ، ومرحلة ورع وخشية وتقوى حقيقية ، إنها أقصى مراحل الطاعة وبالتالى فهى ذروة التجربة الدينية عند المسلم .

ويلاحظ أنه مع تطور التجربة الدينية عند المسلم تم استخدام مصطلح « إسلام » على مستويين : المستوى الأول هو المستوى الشكلى للدين ، وهو ما يفرق المسلم من غير المسلم ، ولكن لا يفرق بين المسلم المؤمن والمسلم المنافق لاشتراكهما فى هذه المرحلة التى لم يتجاوز فيها الإسلام المرحلة الشكلية الظاهرية إلى مرحلة الإيمان .

أما المستوى الثانى لاستخدام مصطلح « الإسلام » فهو المستوى الذى يعنى فيه الإسلام الدين من خلال التدين الكامل والوفاء بمتطلبات المراحل الثلاث فحينئذ يصبح المتدين مسلما بمعنى الإسلام لله أى الخضوع التام القلبى والشكلى والفعلى . فالشكل يشير إلى المرحلة الأولى، والقلب يشير إلى المرحلة الثانية ،والفعل يشير إلى المرحلة الثالثة ، وحين يجمع الإنسان بين كل أشكال الطاعة لله من الطاعة الشكلية والظاهرية فى المرحلة الأولى إلى الطاعة القلبية فى المرحلة الثانية إلى الطاعة العملية فى المرحلة الأخيرة . فمجموع هذه الطاعات هو الشكل المكون للتجربة الدينية الكاملة التى هى الإسلام . فالإسلام هنا

إسلامان إسلام شكلى ظاهرى ، والإسلام الذى يتحقق فى نهاية مراحل التجربة الدينية .

وقد تم التمييز فى اللغة الإنجليزية بين إسلام المرحلة الأولى باستخدام الحرف الصغير فى بداية الكلمة إسلام islam بينما استخدم الحرف الكبير فى بداية الكلمة الإسلام Islam للإشارة إلى الإسلام الدين الجامع لهذه المراحل فى التجربة الدينية المعبرة عن الخضوع والاستسلام والطاعة التامة لله سبحانه وتعالى على مستوى الشكل والقلب والعمل. وتشير بعض الآيات القرآنية إلى الحالة أو المرحلة الأولى فى مثل قوله تعالى {يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا عليَّ إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين } {الحجرات ١٧} وأيضا فى مثل قوله : {ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم } {التوبة ٧٤}.

وتشير بعض آيات القرآن الكريم إلى الحالة الأخيرة فى مثل قوله تعالى { .. ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن..} { النساء ١٢٥ } وكذلك { بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجر عند ربه ... } { البقرة ١١٢ } وكذلك قوله « ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » { لقمان ٢٢ } .

وهذه المرحلة الأخيرة الجامعة لكل المراحل هى التى تمثل الإسلام الدين كما ورد فى العديد من الآيات القرآنية مثل قوله تعالى { إن الدين عند الله الإسلام }{ ال عمران ١٩} وأيضا { ومن

يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه } { آل عمران ٨٥ } وكذلك {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا } {المائدة٣} .

ويلاحظ أيضا على مرحلة التجربة الدينية فى الإسلام مراعاة التدرج بالتجربة الدينية بما يتناسب مع الطبيعة الإنسانية ، وقدرات الإنسان على استيعاب التجربة ، والجوانب النفسية والاجتماعية المحيطة بها . ويعود التدرج فى التجربة الدينية إلى اختلاف طبيعة كل مرحلة من مراحل التجربة الدينية مع اختلاف متطلبات كل مرحلة ، ومراعاة قدرة الإنسان على فهم طبيعة كل مرحلة وعلى الوفاء بكل هذه المتطلبات . فمثلا مرحلة الإسلام يلاحظ أنها تحتوى عل ثلاثة أنواع من المتطلبات : الأول عقلى تمثله الشهادة والثانى بدنى تمثلة الصلاة بتكرارها خمس مرات يوميا ، والمطلب الثالث مالى وهو الزكاة [٤١] ويضاف إليه الحج وهو مشروط بالاستطاعة المادية والبدنية . والصوم مطلب بدنى قد تصحبه مطالب مالية فى بعض الأحوال فى حالة الإفطار وعدم القدرة على الصوم لأسباب صحية أو بسبب السفر أو غير ذلك . وهذه المتطلبات تمثل صعوبة حقيقية بالنسبة للإنسان ، والقيام بها دليل على الطاعة فى مرحلتها الأولى .

وفى المرحلة الثانية يكون الإنسان قد حصل على التصديق القلبى والقبول العقلى لهذه المتطلبات مع ازدياد فى المعرفة

بالدين توضح أسرار العبادات والفروض الدينية وتجعل أداءها مبنيا على رغبة قلبية وفهم عقلى ، أما المرحلة الثالثة فهى مرحلة التذوق الدينى ، وذلك باتساع الفهم الدينى وبتجربة الدين فى المجتمع ، وفى العلاقات مع الآخرين ، وتنمية الشعور الدينى الجماعى ، وتحقق المراقبة ، وتولد الشعور بالحب والرهبة من المقدس ، وتحقيق خشية الله والوصول إلى حالة التقوى والورع ، ويلاحظ أن هذه المراحل للتجربة الدينية قد تستوعب حياة الإنسان بكاملها فى عملية ارتقاء تدريجى تنمو معها الطاعة وتتدرج من مرحلة إلى أخرى حتى تصل إلى ذرجتها القصوى فى الإحسان .

٢ - خصائص التجربة الدينية فى الإسلام

تتصف التجربة الدينية فى الإسلام بعدة خصائص هى فى النهاية خصائص الإسلام كدين وحضارة معبرة عن جوهره ، ومن أهم هذه الخصائص أنها :

أ - تجربة عقلانية : تعتبر التجربة الدينية فى الإسلام تجربة عقلية لأنها تقوم على أساس من المعرفة الدينية المعتمدة على الوحى الإلهى كما ورد فى القرآن الكريم وعلى السنة النبوية الشريفة المفسرة للوحى والمطبقة لتعاليمه كنموذج يقتدى به المسلم فى تجربته الدينية . ولأن المعرفة الدينية فى الإسلام معرفة عقلية فقد انعكست على تجربة المسلم الدينية . فهى تجربة خالية من الأسرار الدينية ، وبعيدة عن الغموض ،كما أن مصادرها عند

المسلم مصادر بعيدة عن التأثير الأسطورى . ولذلك فهى تجربة خالية من الرموز الدينية الغامضة بغموض مصدرها ، ويقوم بها المسلم وهو فى وعى كامل بمعانيها ودلالتها وبدون حاجة إلى وسيط يكشف أسرارها ورموزها كما هو الحال فى تجارب الديانات الأخرى، وبسبب عقلانيتها فهى تجربة دينية واضحة وبسيطة وتلقائية ومباشرة يمارسها المسلم بنفسه وبدون تدخل أو وساطة من أحد . ولهذا السبب ، وهو العقلانية ، لم تنشأ فى الإسلام وظيفة رجل الدين الذى يتوسط بين الإنسان والله ويقوم بمصاحبته فى أداء الطقوس والشعائر التى تحتاج إلى توضيح وشرح وإلى كشف أسرارها و غموضها وهى مهمة ليست فى دائرة الإمكان العقلى بالنسبة إلى المؤمن العادى ، إنما تحتاج إلى رجل الدين الدارس للأسرار والرموز الدينية والمتعمق فيها . ولقد جعل الإسلام الاقتناع العقلى بمعطيات الدين أساسا من أسس الدخول فيه وقبوله ، إن «لا إكراه فى الدين» تشير إلى تجنب كل أشكال الإكراه العقلى[٤٢] وبقية الآية تشير إلى أن رفض الإكراه يعود إلى الوضوح العقلى للحقيقة : « قد تبين الرشد من الغى » . ووضوح التجربة الدينية فى الإسلام مستمد من وضوح الدين وبساطته ولذلك غابت وظيفة رجل الدين لأنها مرتبطة بالديانات المعتمدة على الأسرار الدينية و القائمة على أساس أسطورى بينما الإسلام ديانة عقلية خالية من الأسطورة ، ولذلك فالتجربة الدينية

فى الإسلام ليست سرية أو صوفية أو غامضة ، إنما هى تجربة عقلية منطقية مفهومة .

ب - تجربة اجتماعية : تتصف التجربة الدينية فى الإسلام ببعدها الاجتماعى . فهى تجربة تتم داخل المجتمع وذات دلالات اجتماعية وينعكس رصيدها العقدى والفكرى فى سلوك اجتماعى للمسلم المتدين المطيع ، بل إن البعد الاجتماعى للتجربة الدينية فى الإسلام هو غايتها العليا ومعبر عن دورة التجربة فى حد ذاتها. فالإحسان ، كما وضحناه سابقا ، يأتى بعد الإسلام والإيمان ويعكس اجتماعية التجربة الدينية عند المسلم ، ويجعل المجتمع هو المحك الطبيعى للتجربة ، ولذلك اتصفت التجربة الدينية فى الإسلام بعدم الانعزالية ورفض خلق مجتمعات دينية منعزلة عن المجتمع مثل مجتمعات الرهبنة ونظم الزهد والتقشف المنتشرة فى ديانات العالم ، ، فالدين هو العمل ، والحياة هى المحك التطبيقى للتجربة الدينية عند المسلم ليحتوى العالم كله والبشرية بكاملها بدون تمييز مبنى على عرق أو لون ، أو اختيار أو نخبة متميزة أو طبقة دينية أو اجتماعية (٤٣) .

والمتعمق فى كل متطلبات التجربة الدينية فى المرحلة الأولى يرى أنها ذات بعد اجتماعى كبير ، فالفروض والعبادات المرتبطة بهذه المرحلة تهدف إلى ربط الإنسان فى تجربته الدينية بالمجتمع ، فالصلاة والزكاة والصوم والحج فروض دينية تنتج عنها ارتباطات

وانعكاسات اجتماعية . فالصلاة تربط الإنسان بجماعته وأسرته وجيرانه وببقية المجتمع المسلم ، وتولّد فى المسلم العديد من القيم الاجتماعية مثل العدالة والمساواة وحب الناس والاندماج والتعارف . والزكاة مقدمة لله وموجهة لخدمة المجتمع ولتحقيق العدالة الاجتماعية بين الغنى والفقير ، والصوم أيضا لله لكنه يربط المتدين بمجتمعه ، ويجعله يحس باحتياجاته ، ويجعل من الإنسان المسلم إنسانا اجتماعيا من الطراز الأول ، وكذلك الحج مناسبة اجتماعية دولية لالتقاء المسلمين من كل مكان لأداء الفريضة ولقضاء احتياجاتهم ، وللتعارف فيما بينهم وعلاج مشاكل مجتماعاتهم . ومرحلة الإيمان هى مرحلة تصديق وتأمين لكل هذه التوجهات الاجتماعية للفروض الدينية فى المرحلة الأولى. بينما تحدد المرحلة الثالثة ، وهى الإحسان ، المجتمع كهدف نهائى للتجربة الدينية عند المسلم . فهدف الدين تحقيق سعادة الانسان فى الدنيا والآخرة ، وضمان استمراريةالحياة الاجتماعية من خلال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وتحقيق مجتمع الإحسان.

وقد نجحت التجربة الدينية فى الاسلام فى التوفيق بين الفردية والجماعية وإحداث التوازن اللازم فى التجربة الدينية بين تحقيق الشعور الدينى الفردى وإشباع الحاجة الشخصية الى الدين و التدين . فإعلان الإسلام فى المرحلة الأولى أمر فردى بين الانسان

وربه ، كما أن الإيمان فى المرحلة الثانية مركزه القلب ، والمسئولية الفردية عن الأعمال هى المحركة للتجربة الدينية وهدف الفروض الدينية والعبادات إزكاء الروح الدينية فى المسلم ، وتهيئته دينيا كفرد قبل الدخول به فى مرحلةالإحسان ذات البعد الاجتماعى الأساسى . ومن بداية التجربة إلى نهايتها هناك إصرار على الشخصية الدينية للمسلم وعلى شعوره الدينى الخاص ، ومسئوليته الدينية على المستوى الفردى . ومع الحفاظ على الشخصية المستقلة للمتدين فإن فعله الدينى موجّه جماعيا واجتماعيا . فالصلاة قد تكون فردية أو جماعية ، والجماعية أفضل ، بل هى واجب فى صلوات الجمعة والعيدين . والزكاة تعطى حسب مقاديرها المحددة بصفة شخصية وبدون تحديد لطبيعة المتلقين لها طالما أنهم من المصنفين القابلين للزكاة ، وهى موجهة أصلا لصالح المجتمع واستمراريته . والصوم فريضة يؤديها الانسان وهوفى صلة فردية خاصة مع الله قبل أن ينعكس الصوم فى حياة الإنسان داخل المجتمع فهو تجربة دينية روحية خاصة تأخذ بتمامها الشكل الاجتماعى المعروف . والحج فى حالة الاستطاعة فريضة لتطهير النفس أولا قبل أن تكون مناسبة لاجتماع المسلمين وتعاونهم وقضاء مصالحهم .وهكذا تحتوى كل الفروض الدينية على الأساس الشخصى فى العلاقة بين الانسان والله ثم تتبلور فى الشكل الاجتماعى المناسب ، وإذا كان التركيز

فى معظم الديانات الاخرى على الخلاص الفردى الشخصى بتكريس العبادة داخل نظام دينى يقوم على العزلة الدينية من رهبنة وغيره فإن التركيزفى التجربة الدينية فى الإسلام على تحقيق نجاة المسلم وفلاحه على المستوى الشخصى ، وتحقيق فلاح المجتمع من خلال الفلاح الشخصى ، والربط بين التجربة الدينية الفردية ، والتجربة الدينية الجماعية فى نفس الوقت .

جـ - تجربة دينية دنيوية وأخروية : تتصف التجربة الدينية فى الإسلام بشموليتها وتغطيتها لحياة الإنسان الدنيوية والأخروية ، فهى تجربة دينية مؤكدة للحياة الدنيوية من ناحية (٤٤) ، وموجّهة لها لتحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والدين وفى الدنيا والآخرة . وفى قول عمرو بن العاص رضى الله عنه تأكيد على هذا « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا »(٤٥) . وفى تعريف الشهرستانى للدين ربط التجربة الدينية بالجزاء فالمتدين هو المسلم المطيع المقر بالجزاء يوم التناد . وفى الوقت الذى ركزت فيه التجارب والخبرات الدينية فى الديانات الأخرى على الدنيا وحدها ، أو على الآخرة وحدها . فقد أحدثت التجربة الدينية الإسلامية التوازن المطلوب فى حياة المتدين بتوجيهه دنيويا وأخرويا وجعل عمله الدنيوى المحقق لسعادته فى الدنيا الطريق الى تحقيق السعادة الأخروية . فالعمل الدنيوى أساسى وضرورى ولا فرار منه عن طريق عزلة دينية أو رهبنة أو تكريس

الحياة للدين على حساب الدنيا أو العمل للدنيا على حساب الدين.

د ـ تجربة دينية أخلاقية: الدين فى الإسلام هو مصدر الأخلاق، ولذلك فالتجربة الدينية فى الإسلام تولّد فى المسلم منظومة من القيم الأخلاقية التى تنظم سلوك المسلم داخل المجتمع وتخلق المجتمع المثالى . وقد تمكن مجتمع الرسول ﷺ الصحابة من تحقيق المثالية الأخلاقية التى أصبحت فيما بعدمصدرا دائما للحياة الأخلاقية الإسلامية. والتجربة الدينية التى يخوضها المسلم خلال مراحل الإسلام والإيمان والإحسان تكسبه مجموعة من الصفات الأخلاقية التى تجعل منه فى حالة التزامه مثالا أخلاقيا . ومع كل فريضة دينية تتولد أخلاقيات تؤدى الى خلق المسلم المطيع المتدين فى نفس الوقت الذى تخلق فيه المسلم القدوة الخلقية . ولا انفصام بين الدين والأخلاق فى تجربة المسلم الدينية فالتجربة الدينية تنتهى إلى خلق المسلم المثالى . ولا أخلاق بدون الدين كما هو الحال فى كثير من الأديان وبخاصة ديانات الشرق الأقصى . ولذلك تكتسب الأخلاق فى الإسلام صفة مصدرها وخصائصه فالإسلام دين أخلاقى والتوحيد فى الإسلام توحيد أخلاقى. فالله سبحانه وتعالى يوصف بمجموعة من الأسماء الحسنى التى تمثل فى معظمها قيما أخلاقية . وبنية الدين بنية

أخلاقية تقوم على أساس من المسؤلية الفردية ، وحرية الإرادة الإنسانية ومبدأ الثواب والعقاب . والرسول ﷺ أعطى القدوة الأخلاقية الإسلامية . فقد وصفه القرآن الكريم بقوله :{ وإنك لعلى خلق عظيم} (القلم، ٤). كما وصف الرسول ﷺ دعوته وهدفها بأنها هدف أخلاقى « إنما بعثت لأتم مكارم الأخلاق ». والهدف من ربط الأخلاق بالدين واعتبار الدين مصدر الأخلاق هو أن يصبح للأخلاق مصداقية ومشروعية فمصدرها إلهى . وكذلك لكى تكتسب الأخلاق صفة الثبات والدوام وذلك من ثبات مصدرها ودوامه ، ولا تتحول الى أخلاق وضعية قابلة للتغيير والتبديل .

سادسا : البنية الدينية للإسلام

اهتم علم تاريخ الأديان بدراسة البنية الدينية لكل دين من الأديان ، ويتميز الإسلام من بين الأديان بأنه دين واضح البنية التى تتميز بالبساطة والسلامة والوضوح والقوة التى مكنت الإسلام من التأثير فى البنية ا لدينية للأديان الآخرى وبخاصة ديانات التوحيد التى لم تأت كاملة البنية منذ بدايتها ، فظلت تتلقى تطويرات فى بنيتها على مر العصور . وبظهور الإسلام استفادت اليهودية والمسيحية من النظام الدينى فى الإسلام ومن البناء العقدى فيه فنظمت الديانتان ، رغم خلافاتهما مع الإسلام ، على النموذج الإسلامى من حيث البنية الدينية . فقد كان هدف علم اللاهوت عموما والنظامى خصوصا تنظيم المسيحية ، وهدف علماء الكلام فى المسيحية واليهودية تنظيم الديانتين عقديا مستفيدين من علوم الدين عند المسلمين وبخاصةعلم أصول الدين وعلم الكلام عند المسلمين . ومن أهم معالم بنية الدين الإسلامى :

أ- البنية الإلهية التوحيدية : تقوم بنية الدين الإسلامى على أساس من الاعتقاد فى الألوهية فى شكلها التوحيدى . فهى ديانة إلهية توحيدية تقوم على الاعتقاد فى وجود الله وفى وحدانيته ، وترفض الألوهية فى كل أشكالها الأخرى التعددية والثنوية ، وترفض الشرك والوثنية ، وتقر بالتوحيد كعقيدة أصلية وأساسية

للبشرية منذ بدايتها . وتنص شهادة الإيمان فى الإسلام على التوحيد الذى أصبح رمز الدين الإسلامى وشعاره والعلامة المميزة للمسلم عن غير المسلم : « أشهد أن لا إله إلا الله ». والأصل الأول للدين وعليه تقوم الأصول الأخرى وفروعها . ومعرفة الله تتم من خلال صفاته التى وصف بها نفسه من خلال الوحى .

ب-البنية العقدية التشريعية : الإسلام عقيدة تمثل « الجانب النظرى الذى يطلب الإيمان به أولا وقبل كل شيء إيمانا لا يرقى إليه الشك ، ولا تؤثر فيه شبهة » (٤٦) .والأصل الجامع للإسلام فى عقائده وشرائعه هو القرآن الكريم المصدر الأول للدين . أما الشريعة فهى « النظم التى شرعها الله - أو شرع أصولها ليأخذ الإنسان بها نفسه ، وعلاقته بالكون ، وعلاقته بالحياة » (٤٧). وقد ربط الإسلام بين العقيدة والشريعة . فالعقيدة أصل والشريعة فرع ، والعقيدة هى الإيمان أما الشريعة فهى العمل . فالإسلام ليس عقيدة فقط مهتمة بتنظيم علاقة الإنسان بربه، بل هو أيضا شريعة تنظم علاقة الانسان بالإنسان وبالكون وبالمجتمع على أساس من العقيدة . « والعقيدة هى الأصل الذى تبنى عليه الشريعة ، والشريعة أثر تستتبعه العقيدة، ،من ثم فلا وجود للشريعة فى الإسلام إلا بوجود العقيدة ولا ازدهار للشريعة إلا فى ظل العقيدة »(٤٨) . فالعقيدة هى مصدر مصداقية الشريعة واحترامها ومراعاتهاوالعمل بها . ولا يكتمل إيمان المسلم إلا

بالعقيدة والشريعة معا ، « فمن آمن بالعقيدة ، وألغى الشريعة ، أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة لا يكون مسلما عند الله ولا سالكافى حكم الإسلام » (٤٩) .

وتتكون العقيدة الإسلامية من مجموعة من العقائد التالية :

١ - الإيمان بالله من حيث « وجوده ووحدانيته » وتفرده بالخلق والتدبير والتصرف وتنزهه عن المشاركة فى العزة والسلطان ، والمماثلة فى الذات والصفات، وتفرده باستحقاق العبادة والتقديس والاتجاه إليه بالاستعانة والخضوع ، فلا خالق غيره ، ولا مدبر غيره، ولا يماثله شىء ، ولا يشاركه فى سلطانه وعزته شىء ، ولا تخضع القلوب وتتجه إلى شىء سواه» (٥٠) .

٢ - الإيمان بالملائكة .

٣ - الإيمان بالكتب .

٤ - الإيمان بالرسل عليهم السلام .

٥ - الإيمان باليوم الآخر .

٦ - الإيمان بالقدر خيره وشره .

وتسمى هذه العقائد بأركان الإيمان الستة وفيها الحد الفاصل بين الإسلام والكفر (٥١).

أما الشريعة فهى إسم للنظم والأحكام التى شرعها الله ، أو شرع أصولها ، وكلف المسلمين بها . وهى تشتمل على «العبادات» التى يتقرب بها المسلم الى ربه ، وتكون عنوانا على

صدق الإيمان به ، ومراقبته والتوجه إليه . كما تشتمل الشريعة على « المعاملات » المتعلقة بحفظ مصالح المسلمين ، ودفع المضار فيما بينهم وبين أنفسهم ، وبينهم وبين الناس لمنع المظالم. وتشتمل المعاملات على ما يتعلق بشئون الأسرة والميراث ، والأموال والمبادلات ، والعقوبات وعلاقة المسلمين بغير المسلمين (٥٢). وتشتمل العبادات على الشهادة ، وهى الإقرار بوحدانية الله وبرسالة الرسول ﷺ. وتشتمل على العبادات الأربع وهى الصلاة ، والزكاة ، والصوم ، والحج . وتعتبر هذه العبادات العمد التى يبنى عليها الإسلام كما ورد فى قول الرسول ﷺ : « بنى الإسلام على خمس . شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا » وهكذا تكوّن أركان الإيمان الستة البنية العقدية ، وتكوّن الشهادة مع العبادات الأربع والمعاملات البنية التشريعية وهما معا يكوّنان البنية العقدية والتشريعية للإسلام كدين .

جـ - البنية الأخلاقية للإسلام: توصف شعبة العقيدة وشعبة العبادات بأنهما شُعَب تكليفية وهما الأساس الأول ليصبح الإنسان مسلما . وتحتوى الشعبةالأولى على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وشعبة العبادات هى الأثر للصدق فى الشعبة الأولى فهى النظم التى تساس بها حياة المسلم والمعاملات

المنظمة لها . وهناك شعب أخرى إرشادية وتوجيهية منها شعبة الأخلاق وهى قوام العمل ، والصدق فى شعب العقيدة والعبادة والنظم[٥٣]. وهناك علاقة عضوية بين شعبتى العقيدة والعبادات وشعبة الأخلاق يصفها الشيخ شلتوت على النحو التالى : « أن السعادة التى جعلت هذه الشعب سبيلا إليها لابد فى الحصول عليها من حسن الخلق . وأن الإيمان الذى يرجع فقط الى مجرد العلم بالوحدانية ، والعبادة التى ترجع فقط الى الصور والأشكال ، وأن النظم التى ترجع فقط إلى مواد القوانين والفقه المحفوظ فى الصدور وأن المتعة بالحياة التى ترجع فقط الى إصابة لذائذها ، وأن نظرة الإنسان الى الكون التى ترجع فقط الى مظاهره العامة .... دل تاريخ الرسالات وإرشاداتها على أن انقطاع هذه الشعب فى جوهرها عن شعبة الأخلاق هكذا أو انقطاع شعبة الأخلاق عنها مما يهدم فى النفوس وفى الحياة الأثر الذى ترتبه الحكمة الإلهية فى الإنسان على التكليف بهذه الشعب والارشاد إلى التمسك بها »[٥٤] . والعقيدة بدون خلق أو الخلق بدون العقيدة أمر لايمكن تصوره . كما وُصف المؤمنون فى القرآن الكريم بأنهم : {الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله} (التوبة ١١٢) . وعرَّف الرسول ﷺ الدين بأنه « حسن الخلق » .

وهكذا لايمكن فصل الدين عن الأخلاق فى الإسلام كما وضحنا من قبل . فالإسلام دين أخلاقى يربط الأخلاق بالدين ويعتبر الدين

مصدرا للأخلاق . ويختلف الإسلام فى ذلك عن بقية الأديان التى إما رفعت شأن الأخلاق وجعلتها دينا كما هو الحال فى معظم ديانات الشرق الأقصى ، أو أخضعت الأخلاق للرؤية الدينية الضيقة بمفهوم محدود وضيق عن الإنسان نتج عنه النظر الى الإنسان على أنه مخلوق غير أخلاقى كما هو الحال فى اليهودية والمسيحية حيث اعتبر الإنسان مخطئا بالفطرة وبالتالى فهو ليس بقادر على فعل الخير والخطيئة أصيلة فيه ،ولذلك فالخلاص من الخطيئة يتم من خلال مسيح مخلص اعتقدت اليهودية فى عدم مجيئه بعد بينما اعتقدت المسيحية فى قدومه فى شخص عيسى عليه السلام الملقب بالمسيح المخلص الذى افتدى نفسه بالموت على الصليب فداءً للبشرية الخاطئة . ومع تطور الفكر الدينى فى الغرب وظهور العلمانية تم الفصل بين الدين والأخلاق ، وطور المجتمع الغربى قيمه الأخلاقية المستقلة عن الدين .

وتعتبر الأخلاق من صلب البنية الدينية للإسلام . فالتوحيد فى الإسلام توحيد أخلاقى حيث تتمخض عن العقيدة والشريعة مجموعة قيم أخلاقية منظمة لعلاقة المسلم بالمسلم وبغير المسلم. وأعطت الأسماء الحسنى مجموعة من القيم الأخلاقية المطلقة التى تكون المثال الأخلاقى المطلق . وتطبيق هذه القيم على الإنسان - فيما لا يتعارض مع صفات الذات الإلهية - يتكون خلق المسلم كما تمثل فى نماذج مسلمة أولها شخصية الرسول ﷺ ومن بعده الصحابة والتابعون .

أما البنية الأخلاقية للإسلام فتتمثل فى مبدأ حرية الإرادة الإنسانية ، والاعتراف بالمسئولية الفردية للإنسان تجاه معطيات الدين والشريعة وما ارتبط بهما من تمييز للخير والشر ، وتبيين للحلال والحرام من خلال الوحى الإلهى مصدر الدين والأخلاق فى الإسلام ويقدم الإسلام المسئولية الفردية على المسئولية الجماعية(٥٥) .

والمسئولية الفردية فى الإسلام تعنى رفض مبدأ الخطيئة الجماعية والمسئولية الجماعية عنها كما هو الحال فى اليهودية ، وتعنى رفض مبدأ الخلاص العام فى اليهودية والمسيحية . فالإنسان هو المسئول الأول عن أعماله التى اكتسبها اكتسابا لا عن أصالة أو فطرة فيه ، وبعد معرفته للخير والشر والحلال والحرام . ومن هنا لزم الاعتقاد فى الجزاء المتمثل فى الثواب والعقاب فى الدنيا والآخرة ، ولزم أيضا الاعتقاد فى الآخرة حتى تتحقق العدالة الكاملة. والاعتقاد فى الآخرة يتضمن الايمان بالبعث والجزاء والثواب والعقاب الأخروى ، والجنة والنار . وهكذا ليأخذ الإسلام فى النهاية بنيته الأخلاقية المعتمدة على المسئولية الفردية وعلى الثواب والعقاب الدنيوى والأخروى .

د ـ البنية الحضارية للإسلام : ينفرد الإسلام من بين الأديان ببنيته الحضارية . فالحضارات الانسانية ارتبطت جميعها بشعوبها بينما ارتبطت الحضارة الإسلامية بدينها وهو الإسلام . فارتباط

الحضـارة بالدين من خصـائص حـضـارة الإسلام ، فى الوقت الذى يصعب فيه التحدث عن حضارة هندوسية أو بوذية أو يهودية أو مسيحية أو كونفوشيوسية ...... الخ (٥٦). وقد حاول كثير من المستشرقين نسبة الحضارة الإسلامية إلى شعوبها مثل قولهم « الحضارة العربية » و « الحضارة الفارسية » وهى تحديدات ليست دقيقة ، وتستبعد عن قصد الصفة الإسلامية لهذه الحضارة مركزة على الصفة اللغوية الثقافية ، كما تهمل أيضا طابع الإسلام الذى يظهر فى الأصول العقيدية الفكرية للحضارة الإسلامية . ويؤكد الدكتور حسين مؤنس على هذه الصفة بقوله « إن حضارة الإسلام أساسها العقيدة »(٥٧) . فالإسلام دين ومجتمع ومدنية وحضارة فى نفس الوقت ، وتاريخ الشعوب والبلدان الإسلامية يشهد بترابط الجانبين الروحى والمادى فى حضارة تقوم على أساس الدين (٥٨). وتقوم قيم الحضارة الإسلامية على أساس عقيدى أخلاقى . وارتبطت المنجزات الحضارية الإسلامية بالقيم الإسلامية وبالدين الإسلامى ارتباطا عضويا ومباشرا . وقد أحدث الإسلام التوازن المطلوب بين الدين والدنيا ، وربط أمور الدنيا بالدين ، وجعل الدين رقيبا على ما ينجزه الإنسان من حضارة . وقد انقسمت أديان العالم السابقة على الإسلام إلى ديانات دنيوية اهتمت بالحياة الدنيا فأنتجت ثقافة مادية خالية من الروح الدينية والأخلاقية ، وديانات زهد وتقشف أهملت الحياة الدنيا واعتبرتها شرا يجب

تحقيق الخلاص منه بهجره واعتزاله . وقد حقق الإسلام التوازن بين مطالب الدين والدنيا ، فأنتج حضارة متوازنة هدفها تحقيق سعادة الإنسان فى الدنيا والآخرة فكانت الحضارة النموذج فى تاريخ العالم.

وهكذا اكتملت العناصر المكونة لبنية الدين الإسلامى فجمع الإسلام فى بنيته كدين بين إلهية المصدر والاعتقاد ، والإيمان بالألوهية فى شكلها التوحيدى الخالص ، وبأن الدين عقيدة يؤمن الانسان بمحتواها النظرى وشريعة يطبقها فى حياته العملية وأن الدين أخلاق يلتزم بها الانسان وحضارة روحية ومادية تضمن للإنسان تحقيق السعادة الدنيوية والأخروية . فالإسلام إذن يجمع فى بنيته بين الأسس الإلهية والتوحيدية والعقدية والتشريعية والأخلاقية والحضارية وهى أسس لم تجتمع فى دين آخر .

سابعا : فضل الإسلام ومكانته فى تاريخ الأديان

الإسلام له مكانة رفيعة فى تاريخ الأديان تتضح من خلال خصائصه المميزة له عن بقية الأديان ، كما تتضح من خلال تأثيره فى الأديان الأخرى وفضله عليها .

أ - مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان : ومن أهم الخصائص المميزة للإسلام فى تاريخ الأديان والمحققة لفضله عليها:

١ - إعطاء بنية دينية متكاملة للدين وذلك باتخاذ التوحيد الخالص كقاعدة دينية أساسية تبنى عليها العقيدة المتكونة من مجموعة أركان للدين والإيمان محددة تحديدا دقيقا ، وترتبط بها شريعة منبثقة عنها تنظم النشاط الدينى للإنسان من خلال شعبة العبادات المحددة للعلاقة بين الإنسان المخلوق والإله الخالق وانعكاساتها على العلاقة بين الإنسان والإنسان . ومن خلال شعبة المعاملات المنظمة للنشاط الإنسانى فى المجتمع ، ومن خلال شعبة الأخلاق وهى مجموعة القيم والمبادئ الأخلاقية المنبثقة عن العقيدة والشريعة ، وتستمد أساسها من التوحيد الذى اتسم بصفة التوحيد الأخلاقى ، وتفرز هذه الشعب مجتمعة حضارة دينية أخلاقية هى الوحيدة من نوعها فى تاريخ العالم من حيث ارتباطها بالدين والأخلاق .

وتتضح البنية الدينية المتكاملة للإسلام أيضا فى شموليته ، وفى تناوله المتكامل للحياة الإنسانية حيث لم يستقل الإسلام بإحدى مشاكل البشرية أو قضاياها ليجعلها موضوعه الأساسى كما فعلت كل أديان العالم الأخرى بتركيزها على مشكلة معينة وتعميمها واعتبارها هى الدين مما أدى إلى اختزال الدين وتبسيطه بينما الدين هو الحياة بكاملها ، وقد ركزت الأديان على مشاكل سلبية بدلا من النظر إلى الدين على أنه أمر إيجابى يحتوى الحياة كلها . فقد ركزت اليهودية والمسيحية على مشكلة الخطيئة الإنسانية وسبل الخلاص منها . وركزت ديانات الشرق الأقصى على مشاكل الشقاء الإنسانى ، وفلسفة الحكم وغير ذلك من القضايا الفرعية والسلبية . لقد تناول الإسلام الدين فى تكامله وشموليته وإيجابيته ، ولم ينظر إلى الحياة فى شكل مشكلة تحتاج إلى حل إنما نظر إليها على أنها انعكاس أو ترجمة للعلاقة بين الإنسان العبد المخلوق والله الواحد الخالق والقائمة على أساس من الطاعة المعبرة عن جوهر الدين .

وبالإضافة إلى هذا فقد اتصفت التجربة الدينية للمسلم بأنها تجربة متكاملة فهى عبارة عن علاقة مباشرة بين العابد والمعبود تتصف بالوضوح والبساطة والعقلانية ، وتؤكد على تعالى الألوهية وتنزيهها ، وعدم الخلط بين الخالق والمخلوق .

كما أنها تجربة مباشرة بدون وساطة وتتصف بالواقعية والتدرج استجابة لطبيعة البشر ، كما أنها تجربة فردية وجماعية فهى علاقة خاصة بالله تنعكس على المجتمع كما أنها على مستوى العبادات تؤدى فى شكل فردى وجماعى ، وذلك فى ربط متوازن بين الشعور الدينى الفردى والشعور الدينى الجماعى ، وتشبع الحاجة الدينية الفردية والجماعية . وهى أيضا تجربة دنيوية وأخروية ، فهى تؤكد على الدنيا وتمهد للآخرة . وتجعل العمل الدنيوى مقدمة للآخرة . كما أنها تجربة دينية أخلاقية تنعكس فى السلوك الفردى والجماعى ، وتحقق أيضا الاعتدال فى التدين وعدم الغلو فيه والتقصير فى شأنه ، وقد اكتسبت التجربة الدينية مواصفات الإسلام فى بساطته ووضوحه ومباشرته وعقلانيته وبعده عن التعقيد اللاهوتى والفلسفى .

٢ - ثبّت الإسلام التوحيد كقاعدة دينية أساسية فى العلاقات الدينية بين الشعوب . وأكد على وحدة الدين باعتبار التوحيد الأصل فى التدين قبل ظهور التعدد والشرك والوثنية ، ونادى بإمكانية عودة الشعوب إلى أصلها التوحيدى ودينها الفطرى الذى فطر الله الناس عليه والمتواكب مع الفطرة الإنسانية ، والعقل السليم . وتقوم وحدة الدين أيضا على عالمية الإله الواحد ورفض خصوصيته مع قبول للتعددية الدينية كأمر واقع قابل للتصحيح والتغيير مما أدى إلى تطور نزعتين إسلاميتين على قدر كبير من

الأهمية : النزعة التسامحية والنزعة التصحيحية . فعالمية الدين تجعل التسامح مع أهل الأديان الأخرى قاعدة أساسية فى التعامل معها كواقع دينى قابل للتغير ، وترتبط النزعة التسامحية بالنزعة التصحيحية الناشئة عن الاهتمام المستمر بالوضع الدينى للبشرية والحكم عليه بمقياس التوحيد الخالص ، وإعلان الرغبة المستمرة فى التصحيح . وتعتبر نزعة التصحيح من صفات الإسلام التى تميزه عن بقية الأديان ، فهو دين مسئول عن الأديان الأخرى وعن الأوضاع الدينية للشعوب بهدف تصحيح معتقداتها والاقتراب بها من التوحيد إلى حد يفضل معه الإسلام تحول الوثنيين والمشركين وأهل التعدد إلى اليهودية والمسيحية على البقاء على الوثنية . فالرغبة فى الإصلاح الدينى لا تعكس توجها إلى الهيمنة وفرض السيادة الدينية على أهل الأديان الأخرى ، ولذلك كان الإسلام ولا يزال أكثر الأديان تفاعلا مع الأديان الأخرى ، ورغبة فى تحقيق التقائها ، والقضاء على الصراعات بينها ، وقد أكسب هذا التسامح الإسلامى صفات إيجابية فجعله تسامحا غير سلبى لأنه تسامح مبنى على أساس من الاعتراف بالواقع ، وإمكانية التعايش والقابلية للتصحيح ، وهو أول دين اعتمد أسلوب الحوار كوسيلة للاتصال بأهل الأديان والتفاعل معهم ، وتبادل الرأى فى أمور الدين ، وكوسيلة للإقناع فى مجال الدين بعيدا عن الإكراه الدينى وما ينتج عنه من صراع مدمر للحياة الإنسانية ، والإسلام فى هذا

ينتصر للوحى والعقل ، ويسعى إلى تخليص الدين من الأسطورة والخرافة ومن الغلو الفلسفى الصوفى ، ومن الارتباط القومى وغير ذلك من العوامل غير الدينية التى أفسدت الحياة الدينية للشعوب وأبعدتها عن وحدتها الدينية المتمثلة فى التوحيد ، دين البشرية منذ البداية .

ب - **فضل الإسلام على الأديان :** الإسلام أكثر الأديان اتصالا بالأديان الأخرى وتفاعلا معها تدفعه إلى ذلك نزعته العالمية ، وسعيه إلى الانتشار ، ورغبته في التصحيح . وقد ساعد على ذلك أيضا الموقع الجغرافى للعالم الإسلامى وتوسطه بين الشرق والغرب ، بالإضافة إلى تغطية الإسلام لمساحة جغرافية شاسعة أتاحت للإسلام الاحتكاك بكل الأديان الأخرى ، وأتاحت للمسلمين الدخول فى علاقات مع كل شعوب العالم قديما وحديثا ، كما ساعد على ذلك أيضا احتواء الدولة الإسلامية ،قديما على جاليات وطوائف تنتمى إلى كل أديان العالم ، ولا يزال هذا الوضع مستمرا حتى الآن حيث توجد أقليات دينية منتشرة فى كل بلاد العالم الإسلامى تقريبا مما أدى إلى اتصال المسلمين بأهل الأديان الأخرى داخل العالم الإسلامى وخارجه .

وقد نتج عن هذه الأوضاع تأثير إسلامى فى أديان العالم فقد كان الإسلام أحد عوامل التطور فى الشرق والغرب ، فقد تفاعلت هذه الأديان مع النقد الإسلامى لها والذى ساعدها على الكشف عن

سلبياتها فطورت من نفسها فيما يشبه الإصلاح المضاد بدون الاعتراف بفضل الإسلام فى ذلك الخصوص ، وإظهار الإصلاح وكأنه تطور داخلى أو استجابة لتطورات من داخل الدين وبدون مؤثرات خارجية .

وبالنسبة لأثر الإسلام فى اليهودية فقد استفاد يهود العصر الوسيط الذين عاشوا فى العالم الإسلامى من الدين الإسلامى فى وضع نظام للديانة اليهودية يحدد بنيتها العقدية وأركان الإيمان فيها كما أشرت من قبل ، كما حاول اليهود شرح اليهودية وتفسيرها تفسيرا عقليا فاستفادوا من علماء الكلام المسلمين فى إنشاء علم كلام يهودى على نظام علم الكلام عند المسلمين ، كما نشأت مدرسة اعتزال يهودية على نمط مدرسة الاعتزال التى نشأت فى الإسلام . وقد تأثرت بعض الفرق اليهودية بشكل أكبر من الفكر الإسلامى.مثل فرق السامريين والقرائين .

وبالنسبة إلى المسيحية فقد استفاد الفكر الدينى المسيحى من الفكر الإسلامى وبخاصة فى مجال علم الكلام وفى مجال الفلسفة حيث نشأت المدرسة الرشدية فى الغرب بتأثير من فكر ابن رشد . كما ظهرت فى الديانة المسيحية اتجاهات الإصلاح متأثرة بالإسلام من أبرزها الإصلاح البروتستانتى . وفى القرن التاسع عشر تم تطوير علم الكتاب المقدس على يد المستشرق الألمانى يوليوس ڤلهاوزن الذى استفاد من تراث المسلمين فى نقد الكتب المقدسة،

وطور نظرية المصادر التى طورها العلماء المسلمون وبخاصة ابن حزم الأندلسى .

أما الديانات الهندية فقد احتكت بالإسلام احتكاكا مباشرا فى شبه القارة الهندية ، واستفادت من النقد الإسلامى لها وطورت فى فكرها الدينى . ومن أهم مجالات التأثير ظهور اتجاه إلى الفكر الإلهى التوحيدى فى الهندوسية ، والاتجاه إلى تشخيص الإله ، أى الاعتقاد فى الآلهة الشخصية ، كما استجابت هذه الديانات للنقد الدينى الاجتماعى للإسلام فحاولت التطوير فى النظام الطبقى الاجتماعى والتخفيف من حدة هذا النظام وبخاصة فى الهندوسية، وتحقيق نوع من العدالة الإجتماعية .

وقد استفاد الفكر الدينى عموما فى الشرق والغرب من النقد الإسلامى الشديد للاتجاهات والمذاهب اللادينية مثل العلمانية والإلحاد والشيوعية ، ولا شك أن للإسلام دوزا كبيرا فى إسقاط الفكر الشيوعى ، كما أن للإسلام دورا كبيرا فى القضاء على الوثنية فى إفريقيا وآسيا من خلال انتشار الإسلام فى القارتين ، وتحسين الوضع الدينى فيهما ، والارتقاء بالفكر الدينى فى العالم.

الحواشي

١ – انظر على سبيل المثال :

- Abraham Geiger, Was Hat Mohammed Aus Dem Judenthume Aufgenommen ? Bonn, 1833 .
- I.Hastfreund. Mohammed Nach Talmud Und Midrach Berlin, 1875.
- Ch.C. Torry, The Jewish Foundation of Islam. N.T., 1933.
- H. Hirschfled. Judische Elemente Im Koran, Berlin, 1878 .
- I. Schapiro, Die Haggadischen Elemente Im Erzahende Teil Des Korans Leipzig, 1907 .
- J. Obermann, Islamic Origins, The Arab Heritage. N.A. Faris, ed. Princeton, 1944, pp. 58 - 120 .
- S.D. Goitein. Jews And Arabs, their contacts through the Ages, Schocken Books, N.T., 1955 .

2 - Schoeps, The Religions of Mankind, their origin and development, Doubleday., N.T. 1968 . p. 242 .

3 - Trevor Ling, A History of Religion, East and West, Harper and Row, N.Y., 1968 . pp. 212 - 213 .

4 - G. Von Grunebaum, Classical Islam, Chicago, 1947 .

------------ Modern Islam, The Search for Cultural Identity, Berkeley and Los Angeles, 1962 .

------------ Unity and Variety in Muslim Civilization, Chicago, 1955 .

٥ - وانظر أيضًا الآيات التالية : البقرة ١٢٨ ، ١٣٦ ، آل عمران : ٨٤ ، ١٠٢ ، العنكبــوت : ٤٦ ، الجن : ١٤ ، يونس ٩٠ ، النمل ٣١ ، ٣٨ ، ٩١ ، الذاريات ٣٦ .

6 - W.C. Smith, Islam in Modern History, Mentor Books, 1957, p. 18 .

7 - H.A.R. Gibb, Mohammedanism, Oxford Univ. Press, London, 1972 . p. 37 .

٨ - انظر مثلاً : C.Wolf, Luther and Mohammdanism , The Moslem World, Vol. XXXI, 1941 .

وكذلك : الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، مطبعة المدنى ١٩٦٦، وانظر أيضًا : أمين الخولى : صلة الإسلام بإصلاح المسيحية .

9 - Schoeps, p .

10 - E.G. Parrinder, What World Religions Teach ; G.Harrap, London, 1968 .

11 - N. Smart, The Religious Experience of Mankind, Scribners, and Sons, 1969 .

١٢ - أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ، المجلد الخامس الجزء الثامن ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٠م ، ص ٧٧ .

١٣ - المصدر السابق .

١٤ - المصدر السابق ، جـ٨ ، س ١٧٢ .

١٥ - نفس المصدر ، جـ٨ ، ص ١٧٣ .

١٦ - محمد عبد اللطيف بن الخطيب : أوضح التفاسير ، المطبعة المصرية ومكتبتها ، الطبعة السابعة ، ص ٦٧٩ (بدون) .

١٧ - الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن ، الجزء السادس ، ص ١٧٢ .

١٨ - المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

١٩ - المصدر السابق ، ص ١٧٣ .

٢٠ - نفس المصدر ، ص ١٧٣ .

٢١ - الفخر الرازى : التفسير الكبير ج١٢ ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربى بيروت ، بدون تاريخ ، ص ١١ .

٢٢ - مختصر تفسير ابن كثير : اختصار وتحقيق محمد على الصابونى ، دار القرآن الكريم ، بيروت الجزء الأل ١٩٨١م ، ص ٥٢٤ .

٢٣ - المصدر السابق ، ص ٥٢٤ .

٢٤ - نفس المصدر ، ص ٥٢٤ .

٢٥ - راجع نظرية فلهاوزن فى مصادر التوراة فى كتابنا : علاقة الإسلام باليهودية . رؤية إسلامية ُى مصادر التوراة الحالية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع . القاهرة ١٩٨٦م.

26 - Islam, il Raji Al Faruqi, Islam in the Great Asian Religions, The Macmillan Co, London, 1969, p. 307 - 8 ; Schopes, p. 2 .

27 Schoeps, p. 2 .

28 - Ibid, p. 2 .

٢٩ - من المصادر الاستشراقية التى حملت هذا المسمى آنظر مثلاً :

- H.A.R. Gibb, Mohammedanism, Oxford Uinv. Press, London, 1972.

- I. Godlziher, Muhammedanische Studien, 1888 .

٣٠ - الشهرستانى : الملل والنحل ، ص ٤٢ ؛ وانظر : محمد خليفة حسن : منهج الشهرستانى فى دراسة الأديان والفرق ، مجلة الفصيل ، العدد ١٠٧ فبراير ١٩٨٦م ، ص ١٠٤ .

31 - Ninian Smart, The Religious Experience of Mankind, p. 3 .

٣٢ - الشهرستانى : ص ٤٣ - ٤٤ .

٣٣ - محمد خليفة حسن : منهج الشهرستانى فى دراسة الأديان والفرق ، ص ١٠٤.

٣٤ - الشهرستانى ، ص ٤٧ .

35 - Jan Smith, An Historical and Semantic Study of the Term Islam, p. 15 .

٣٦ - الشهرستانى ، ص ٤٧ .

٣٧ - نفس المصدر ، ص ٤٧ .

٣٨ - نفس المصدر ، ص ٤٧ .

٣٩ - محمد خليفة حسن : منهج الشهرستانى فى دراسة الأديان والفرق ، ص ١٠٥

٤٠ - أخرجه الترمذى فى سننه (٢٦٦٣) إشراف الدعاس وأخرجه أبو داود فى سننه (٤٦٩٥) ، والنساء فى سننه ٨/٩٧ .

وانظر : أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ، رياض الصالحين ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الثالثة ١٩٩٣م (باب المراقبة ، ص ٤٧).

٤١ - تفسير النسفى ، الجزء الأول ، ص ٣٣٠ ، وانظر : Jan Smith, p. 11 .

42 - Al-Faruqi, Islam in The Great Asian Religions, p. 308 .

43 - Ibid, p. 315 .

44 - Ibid, p. 312 .

٤٥ - يوسف القرضاوى : الخصائص العامة للإسلام ، ص ١٥٤ .

٤٦ - الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ، ١٩٧٧م ، ص ٩ .

٤٧ - المرجع السابق ، ص ١٠ .

٤٨ - المرجع السابق ، ص ١١ .

٤٩ - المرجع السابق ، ص ١١ .

٥٠ - المرجع السابق ، ص ١٧ .

٥١ - المرجع السابق ، ص ١٩ .

٥٢ - المرجع السابق ، ص ٧٣ - ٧٤ .

٥٣ - المرجع السابق ، ص ٤٦٢ - ٤٦٣ .

٥٤ - المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

٥٥ - د. محمد فتحي عثمان : القيم الحضارية في رسالة الإسلام . الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ١٩٨٢ ، ص ٤٣ .

٥٦ - المرجع السابق ، ص ٤٧ - ٤٨ .

٥٧ - د. حسين مؤنس : الحضارة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ١٩٧٨م ، ص ٢٧٣ .

٥٨ - محمد فتحي عثمان ، ص ٥٠ - ٥١ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- القرآن الكريم .
- الكتاب المقدس .
- أبو زكريا يحيى بن شرف النووى ، رياض الصالحين ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط٣ ، ١٩٩٣ .
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : جامع البيان فى تفسير القرآن، المجلد الخامس الثامن ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٠م.
- الشهرستانى : الملل والنحل ، تقديم وإعداد عبد اللطيف محمد العبد ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٧م.
- الفخر الرازى : التفسير الكبير جـ١٢ ، الطبعة الثالثة ، دار إحياء التراث العربى ، بيروت ، بدون تاريخ .
- أمين الخولى : صلة الإسلام بإصلاح المسيحية
- الشيخ محمد أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، مطبعة المدنى ١٩٦٦ .
- محمد خليفة حسن : منهج الشهرستانى فى دراسة الأديان والفرق، مجلة الفيصل ، العدد ١٠٧ ، فبراير ١٩٨٦م.
- محمد عبد اللطيف بن الخطيب : أوضح التفاسير ، المطبعة المصرية

ومكتبتها ، الطبعة السابعة .

- محمد علي الصابوني : مختصر تفسير ابن كثير ، دار القرآن الكريم، بيروت جـ١ ، ١٩٨١م .

- الشيخ محمود شلتوت : الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق ، القاهرة ، ط٩ ، ١٩٧٧م.

- يوسف القرضاوي : الخصائص العامة للإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٥ م .

ثانيًا : المصادر والمراجع الأوربية :

- Abraham Geiger, Was Hat Mohammed Aus Dem Judenthume Aufgenommen ? Bonn, 1833 .

- Islam, il Raji Al Faruqi, Islam in the Great Asian Religions, The Macmillan Co, London, 1969.

- Ch.C. Torry, The Jewish Foundation of Islam. N.T., 1933.

- C.Wolf, Luther and Mohammdanism , The Moslem World, Vol. XXXI, 1941 .

- E.G. Parrinder, What World Religions Teach ; G.Harrap, London, 1968 .

- G. Von Grunebaum, Classical Islam. Medieval Islam, Chicago, 1947.

---------- Modern Islam, The Search for Cultural Identity, Berkeley and Los Angeles, 1962 .

---------- Unity and Variety in Muslim Civilization, Chicago, 1955 .

- H. Hirschfled. Judische Elemente Im Koran, Berlin, 1878 .

- H.A.R. Gibb, Mohammedanism, Oxford Uinv. Press, London, 1972.

- I. Godlziher, Muhammedanische Studien, 1888 .

- I. Schapiro, Die Haggadischen Elemente Im Erzahende Teil Des Korans Leipzig, 1907 .

- I.Hastfreund. Mohammed Nach Talmud Und Midrach Berlin, 1875.

- J. Obermann, Islamic Origins, The Arab Heritage. N.A. Faris, ed. Princeton, 1944.

- Jan Smith, An Historical and Semantic Study of the Term Islam.

- N. Smart, The Religius Experience of Mankind, Scribners, and Sons, 1969 .

- Ninian Smart, The Religious Experience of Mankind .

- S.D. Goitein. Jews And Arabs, their contacts through the Ages, Schocken Books, N.T., 1955 .

- Schoeps, The Religions of Mankind, their origin and development, Doubleday., N.T. 1968 .

- Trevor Ling, A History of Religion, East and West, Harper and Row, N.Y., 1968 .

- W.C. Smith, Islam in Modern History, Mentor Books, 1957 .

المحتويات

* تقـديم : ٣

* أولاً : وضع الإسلام فى تاريخ الأديان : ٧

* ثانيًا : الإسـلام بداية تاريخ الأديان ونهـايته : ١٧

* ثالثًا : تاريخ الأديان ومفهوم الهيمنة فى الإسلام : ٣١

١ - معنى الهيـمنة القرآنية : ٣٤

٢ - أدلة هيـمنة القرآن والإسـلام فى تاريخ الأديان : ٤٧

* رابعًا : جوهر الإسلام : ٥٥

* خامسًا : طبيعـة التجربة الدينية في الإسلام : ٦٥

١ - مـراحل التـجـربة الـدينيـة فى الإسـلام : ٦٨

أ - الإسلام .

ب - الإيمان .

جـ - الإحسان

٢ - خصـائص التجربة الدينية فى الإسلام : ٧٥

أ - تجربة عقلانية .

ب - تجربة اجتماعية .

جـ - تجربة دينية دنيوية وأخروية .

د - تجربة دينية أخلاقية .

* سادسًا : البنيـة الدينية للإسلام : ٨٣

أ - البنية الإلهية التوحيدية .

ب - البنية العقدية التشريعية .

جـ - البنية الأخلاقية للإسلام .

د - البنية الحضارية للإسلام

* سابعًا : فضل الإسلام ومكانته فى تاريخ الأديان : ٩٣

أ - مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان .

ب - فضل الإسلام على الأديان .

قائمة بإصدارات السلاسل العلمية

أولاً السلسلة الدينية والتاريخية

اسم الكتاب	اسم المؤلف / المترجم
١ - ظاهرة النبوة الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٢ - الحساب القومي	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
٣ - الشخصية الإسرائيلية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٤ - الصهيونية الدينية	ترجمة أ.د / محمد محمود أبو غدير
٥ - الحركة الصهيونية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٦ - المجتمع الإسرائيلي	ترجمة د. / محمد أحمد صالح
٧ - اسلام حقائق اور الزامات	ترجمة د. / يوسف عامر
٨ - البعد الديني للصراع العربي الإسرائيلي	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٩ - اتجاهات التراجم والتفاسير القرآنية في اللغة الأردية	تأليف أ.د / سمير عبد الحميد إبراهيم
١٠ - الجنيزا والمعابد اليهودية في مصر	تأليف أ.د/محمد خليفة حسن والأستاذ النبوى سراج
١١ - سياسة إسرائيل في طرد السكان العرب	ترجمة وتعليق د. محمد أحمد صالح
١٢ - الرموز الدينية في اليهودية	تأليف أ.د/ رشاد عبد الله الشامى
١٣ - الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى الحاضر والمستقبل	تأليف أ.د/ أحمد فؤاد متولى ود. هويدا محمد فهمى
١٤ - المشكلة الكردية	ترجمة وتعليق / أ.د محمد علاء الدين منصور
١٥ - الصراع الديني العلماني داخل الجيش الإسرائيلي	تأليف أ.د/ محمد محمود أبو غدير
١٦ - الأقليات المسلمة والصراعات في الكومنولث	تأليف د. / هويدا محمد فهمى
١٧ - مستوطنة معالية أدوميم وانتهاك حقوق الإنسان الفلسطيني	ترجمة د. / عبد الوهاب محمود وهب الله
١٨ - يهود مصر « دراسة في الموقف السياسى »	تأليف د. / محمود عبد الظاهر .
١٩ - فلسفة الحرب في الفكر الديني الإسرائيلي	تأليف أ.د/ محمد جلاء إدريس
٢٠ - التركمان بين الماضي والحاضر	ترجمة أ.د/ عبد العزيز محمد عوض الله
٢١ - اليهودية	تأليف أ.د. محمد بحر عبد المجيد .
٢٢ - حرب أكتوبر وأزمة المخابرات الإسرائيلية	ترجمة من العبرية أ.د. محمد محمود أبو غدير.
٢٣ - مستقبل الصراع على فلسطين	تأليف د.عبد الله بن عبد الرحمن الربيعي
٢٤ - الحياة الحزبية في تركيا	تأليف أ.د. / عبد العزيز عوض
٢٥ - دراسات في جنيزا القاهرة	ترجمة أ. النبوى جبر سراج

تابع سلسلة الدينية والتاريخية

اسم الكتاب	اسم المؤلف / المترجم
٢٦ - فيروس التعصب	ترجمة أ.د./ عبد الوهاب وهب الله
٢٧ - اليهودية العلمانية	ترجمة د. / أحمد كامل راوى
٢٨ - علاقة الإسلام باليهودية رؤية إسلامية فى مصادر التوراة الحالية	تأليف أ.د / محمد خليفة حسن
٢٩ - التطور الديمقراطى فى تركيا الحديثة والمعاصرة	تأليف أ.د/ الصفصافى أحمد المرسى

ثانيا : السلسلة الأدبية واللغوية

اسم الكتاب	اسم المؤلف / المترجم
٣٠ - أدب المهجر الشرقى	تأليف د. / محمد عبد الرحمن الربيّع
٣١ - الكلام والفكر والشيء	ترجمة د. / محمد صالح الضالع
٣٢ - قاموس المختصرات العبرية	إعداد د. / شعبان محمد سلام
٣٣ - الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية	نقله إلى العربية د./ أحمد محمود هويدى
٣٤ - حكايات أيسوبوس	ترجمة ودراسة د./ صلاح محجوب
٣٥ - المسرح الإيرانى	تأليف / د. عبد الوهاب علوب .
٣٦ - الأدب الفارسى عند يهود إيران	ترجمة / أ.د. محمد نور الدين عبد المنعم
٣٧ - معجم المصطلحات الفلسفية	إعداد / أ.د. محمد نور عبد المنعم
٣٨ - الشخصية الفلسطينية فى القصة العبرية القصيرة	تأليف أ.د/ محمود على صميدة
٣٩ - ضمير الشأن مسائله ومواطنه	تأليف : د.فاطمة عبد الرحمن رمضان حسين
٤٠ - المعجم التأصيلى للفعل الناقص فى اللغات السامية	إعداد أ.د. عمر صابر عبد الجليل

ثالثا : فضل الإسلام على اليهود واليهودية

اسم الكتاب	اسم المؤلف / المترجم
٤١ - اليهود فى ظل الحضارة الإسلامية	تأليف أ.د/ عطية القوصى
٤٢ - التأثيرات الإسلامية فى العبادة اليهودية	ترجمة أ.د/ محمد سالم الجرحى
٤٣ - المحاضرة والمذاكرة	نقله إلى العربية أ.د/ عبد الرازق قنديل
٤٤ - التأثيرات العربية فى البلاغة العربية	تأليف د.شعبان محمد سلام
٤٥ - الشعر العبرى الأندلسى	تأليف أ.د/ عبد الرازق قنديل

رابعا : سلسلة قضايا إيرانية

اسم الكتاب	اسم المؤلف / المترجم
٤٦ - قضايا إيرانية (العدد الأول)	إعداد / أ.د. محمد نور عبد المنعم
٤٧ - التقرير الاستراتيجى الإيرانى (العدد الثانى)	تحرير وإشراف د. مدحت أحمد حماد
٤٨ - بحر الخزر المشاكل السياسية والاقتصادية	إشراف / أ.د. محمد نور عبد المنعم
٤٩ - بحوث فى العلاقات الإيرانية الخارجية	ترجمة / أ.د. محمد نور عبد المنعم

خامسا : سلسلة الحوار بين الأديان والتقاء الحضارات

اسم الكتاب	اسم المؤلف / المترجم
٥٠ - حوار الحضارات وجهة نظر إيرانية	إشراف / أ.د. محمد نور عبد المنعم
٥١ - المسلمون والحوار الحضاري مع الآخر : نقد إسلامي لنظرية صراع الحضارات .	تأليف / أ.د. محمد خليفة حسن
٥٢ - علاقة الإسلام بالأديان الأخرى .	تأليف / أ.د. محمد خليفة حسن

سادسا : مجلة رسالة المشرق

الأعداد من الأول ١٩٩١
حتى الثاني عشر ٢٠٠٣

رقم الإيداع	٢٠٠٤/٥٣٦٩

مطبعة العمرانية للأوفست

المنيب ت: ٧٧٧٩٣٩٨٠

تهتم هذه الدراسة عن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى بتحديد مكانة الإسلام فى تاريخ الأديان ، وتحديد العلاقات التاريخية والدينية للإسلام بالأديان الأخرى ، وكذلك تحديد موقف الإسلام من هذه الأديان .

وقد ثبت من خلال تاريخ الأديان أن علاقة الإسلام بالأديان الأخرى علاقة عضوية جعلت الإسلام أكثر الأديان إيجابية فى علاقته بالأديان الأخرى ، فهو أكثرها اعترافًا بها وتسامحًا تجاهها. وهو مصدق للصحيح فيها ، ومصحح لغير الصحيح فى عملية نقدية إيجابية بعيدة كل البعد عن التعصب الدينى، وقائمة على أساس من التسامح الدينى ، والاعتراف بالتعددية الدينية ، وبالاختلاف الدينى الذى أقرته القرآنية " لكم دينكم ولى دين" وتعبيراً عن الحقيقة الدينية ، والرغبة فى تحقيق الخير لأهل الأديان إكراه فى الدين .

